

الشاهنامه للفردوسي

بِسْمِ
الدُّكْتُورِ سَجِيِّنِ الْخَنَابِ

دویلية فارسية داخل دولته ، فقد تبع ذلك قيام دویلات منها القوية والضعيفة ، الصفارية والسامانية والعلوية والزبيارية والبوهيمية ، وكلها فارسية . ثم جاءت دولتان تركيتان ، الغزنوية والسلجوقية . واستتبع قيام الدویلات الفارسية لإحياء الروح الفارسی والختن إلى إحياء اللغة الفهلویة في صورتها الإسلامية الحديثة لتكون لغة العلم والأدب والديوان ، ومن هذا الاتجاه الفارسی كان عزم الفردوسی على أن يتفرغ لينظم الشاهنامه . ولم يكن قيام الدویلات التركية ليقف معارضًا لهذا التيار فكثير من وزراء السلاطین الأتراء كانوا فرساً وكانت أمنیتهم تشجیع الأدب الفارسی واستخدام اللغة الفارسیة في أعمال الديوان .

* * *

اختلف الكتاب في اسم القرية التي ولد بها الفردوسی ذهب البعض إلى أنها شاداب (دولتشاه) وذهب آخر إلى أنها رزان (مقدمة بايستقر) وذهب العروضي صاحب « جهار مقاله » — وقد زار طوس بعد وفاة الفردوسی بحوالي مائة سنة — إلى أنه ولد في قرية باز من ناحية الطاپران . ويأخذ الكتاب المحدثون برأى العروضي في هذا . وخالف الكتاب أيضاً في اسم الفردوسی ،

- ١ -

الفردوسی هو أكبر شعراء القرن الخامس الهجري وأحد الشعراء الفرس العظام . نظم الشاهنامه فبلغ الأوج في نظمه ، وهي الملحة الفارسية التي تصور القصص الإیرانی القديم كما تعطى صورة تاريخية صادقة لكثير من جوانب الحياة في العصر الساساني الذي سبق الفتح العربي لبلاد الفرس . ثم إنه نظم « يوسف وزليخة » متوجهًا في نظمه القصة نحو الأدب الإسلامي الخالص . عن كتاب السير وأدباء الفرس بالفردوسی وحاکروا حول حياته الكثير من القصص حتى أن استخلاص حقيقة حياة الرجل من هذه القصص المختلفة أصبح أمراً لا جدوى منه ، وإنما على الباحث أن يقرأ كتابي الفردوسی ، الشاهنامه وقصة يوسف وزليخة ، للتعرف على حياة الشاعر الذي كرس حياته للنظم والذى حرص أشد الحرص على أن ينظم الكتاب الإیرانی المعروف في الفهلویة باسم خدای نامه والذى يعد أعظم آثر ادب باللغة الفارسية .

والفردوسی حين قام بهذا العمل الأدبي الكبير إنما كان يعمل على إحياء القومية الإیرانیة التي بعضها المأمون (٨١٣ / ١٩٨) حين أذن بقيام الدولة الطاهرية ، أول

وعرف شاعرنا العربية معرفة جيدة وعرف الفهلوية معرفة جيدة كذلك . وكانت درايته بتاريخ إيران دراية عميقة شاملة . أما العربية فهي لغة الثقافة في ذلك العصر ، ومهمها يكن من ظهور النزعة الفارسية والاتجاه إلى إحياء اللغة الفارسية فإن لغة القرآن لم يحمل أمرها . وقد كتب العلماء حينذاك باللغتين العربية والفارسية ومنهم من كان يكتب الكتاب نفسه باللغتين جميعاً . كتب ابن سينا والغزالى والرازى وغيرهم باللغتين ومن هنا عرف أن الحضارة العربية الإسلامية تقوم على العربية والفارسية . والفردوسي نفسه حين سير الملوك في إيران اتجه إلى القرآن الكريم وأخذ منه سورة يوسف لينظم قصة دينية فيها الدليل على إتقانه اللغة العربية . ولا خلاف بين الكتاب على معرفة الفردوسى للغة العربية إنما الخلاف على معرفته اللغة الفهلوية . نولده يرى أنه لم يكن يعرفها . أما عزام وناسيه فيذهبان إلى أنه كان يعرف هذه اللغة ، ونحن معهما في هذا . فالفردوسى في قصة « بیزن و منیزه » يقول إن صاحبه حدثه بقوله : « إن كنت لا تسام فاصنح إلى حتى أقرأ عليك من الكتاب الفهلوى قصة لتنظمها » و « كان يقرأ وأنا أنظم » . ويقول « فإن كنت تحب الفهلوية فاعلم أن أروند هو دجلة عند العرب » . وأن ورزورد هو ما وراء النهر عند العرب » . ويفسر الكلمة ببوراسب - وهى لقب الضيحاك - بأن ببور فى الفهلوية هى ده هزار فى الفارسية (عشرة آلاف فى العربية) . ويقول إن بيت المقدس يسمى بالvehloia كشك دز هو خت . وهكذا .

ويذكر عوفى في « لباب الألباب » شعرًا للفردوسى يقول فيه إنه اجهد كثيراً وقرأ كثيراً بالعربية والvehloia . وإذا كان مصدر الشاهنامه « الخدابنامه » قد عرف عنه الكثير باللغتين العربية والفارسية قبل الفردوسى فإنه من غير المتحمل أن يتم نظم الكتاب كله مما عرف من

منصور أو حسن أو أحمد . أما كنيته « أبو القاسم » فيتفقون عليها . وكذلك يتفقون على لقبه الشعري « الفردوسى » ، وفي طوس بستان يعرف باسم الفردوس ولعله ينسب إلى هذا البستان .

ويذهب العروضى إلى أن الفردوسى كان من دهاقن أصحاب الصياغ (طوس) . ويؤيد هذا قوله في الشاهنامه . ولم يذكر كتاب التذكرة تاريخ ميلاد الفردوسى . ولكن يتبع من بعض أشعاره في الشاهنامه ما يرجح هذا التاريخ . فهو يقول إنه فرغ من آخر فصل في كتابه في اليوم الخامس والعشرين من شهر اسفند رامز ، وكان قد مضى على الهجرة أربعين سنة ، وكان عمره في ذلك التاريخ قد اقترب من الثمانين .

ومن هذا يتضح أنه فرغ من الشاهنامه في ٢٥ فبراير عام ٤٠٠ (١٠١٠ھ) . فإذا ذهبنا إلى أنه كان في السادسة والسبعين أو السابعة والسبعين حينذاك فإن مولده قد يكون بين سنتي ٩٣١ / ٣٢٣ و ٩٣٤ . وفي الشاهنامه نصوص أخرى قد تغير هذا التاريخ قليلاً ، ذلك أن الفردوسى يذكر السنوات بالتقريب لا بالتحديد . وقد أخذ الإيرانيون ، حين احتفلوا بالعيد الألفى للفردوسى ، بهذا التاريخ الأخير وعلى أساسه أقاموا حفلهم الذى مثل مصر فيه الأستاذان الرحلان عزام والعبادى . في هذا الاحتفال قال المغفور له السيد فروغى « إن الخلاف على تاريخ مولد الفردوسى ليس أمراً هاماً فإن الخلاف في سنتين من ألف سنة لا يقدم ولا يؤخر شيئاً فإذا قلنا إن مدى الخلافخمس سنوات فایس هذا شيئاً لأن المهم هو إحياء ذكرى الفردوسى » . وأقيم العيد الألفى للفردوسى في يناير سنة ١٩٣٤ .

ويبدو أن الشاعر كان يعيش في صباه من غلات ضياعته ، وأنه كان حريصاً على روى ضياعته رياً معتدلاً بحيث لا يغرقها الماء إذا فاضت القناة ولا يحرقها الجفاف إذا امتنع الماء . بهذه يتحدث في الشاهنامه .

ما خ مرزبان هرآة الـى يروـى الفردوسـى عنـه سـرة هـرمـزـ بنـ أـنـوـ شـروـانـ يـمـكـنـ أنـ يـكـونـ هوـ تـاجـ أحـدـ هـؤـلـاءـ الـأـرـبـعـةـ .ـ وـ لـاحـظـ عـزـامـ أـنـ الـأـرـبـعـةـ الـذـينـ تـرـجـمـواـ الـكـتـابـ كـانـواـ مـجـوسـاـ «ـ وـلـمـ يـكـنـ غـيرـ الـحـبـوسـ إـذـ ذـاكـ يـعـنـيـ بالـفـهـلـوـيـةـ وـجـيدـ قـرـاعـتـهـاـ »ـ ،ـ وـلـسـنـاـ نـوـافـقـهـ عـلـىـ هـذـاـ الرـأـيـ فـيـانـ إـسـلـامـ الـرـجـلـ لـاـ بـحـولـ دـوـنـ حـبـهـ لـثـقـافـةـ أـمـتـهـ ،ـ وـأـسـماءـ الـمـتـرـجـمـينـ الـذـينـ ذـكـرـهـمـ حـمـزـةـ الـإـصـفـهـانـيـ وـالـبـيـرـوـنـيـ وـالـبـلـعـمـيـ وـغـيرـهـمـ تـدـلـ عـلـىـ أـنـهـمـ كـانـواـ مـسـلـمـينـ .ـ وـلـكـنـ قدـ يـكـونـ منـ هـؤـلـاءـ الـمـتـرـجـمـينـ الـذـينـ قـصـدـهـمـ أـسـتـاذـناـ عـزـامـ مـجـوسـ .ـ أـمـاـ مـاسـيـهـ فـيـرـىـ أـنـ هـؤـلـاءـ الـأـرـبـعـةـ إـيـرـانـيـونـ مـنـ الـوـلـاـيـاتـ الـشـرـقـيـةـ ،ـ فـهـمـ مـنـ هـرـآـةـ وـسـيـسـتـانـ وـنـيـسـاـبـورـ وـطـوـسـ .ـ

مـنـ هـذـاـ يـتـبـيـنـ أـنـ آـثـارـ الـفـرـسـ وـقـصـصـهـمـ كـانـتـ مـعـرـوفـةـ بـالـلـغـيـنـ الـعـرـبـيـةـ وـالـفـارـسـيـةـ وـأـنـ الـفـرـدـوـسـىـ كـانـ لـدـيـهـ هـذـهـ الـتـرـاجـمـ ،ـ أـوـ بـعـضـهـاـ ،ـ وـكـانـ لـدـيـهـ النـصـ الـفـهـلـوـيـ أـيـضـاـ .ـ

* * *

عـهـدـ نـوـحـ بـنـ مـنـصـورـ السـامـانـيـ إـلـىـ شـاعـرـ شـابـ ذـاعـ صـيـتـهـ فـيـ الشـعـرـ الـفـارـسـيـ حـيـنـذـاكـ —ـ الـقـرـنـ الـرـابـعـ الـمـجـرـىـ —ـ اـسـمـهـ الدـقـيقـىـ (ـأـبـوـ مـنـصـورـ مـحـمـدـ بـنـ أـحـمـدـ)ـ بـأـنـ يـنـظـمـ الشـاهـنـامـهـ فـبـدـأـ بـنـظـمـ قـهـةـ كـشـتـاسـبـ الـذـىـ ظـهـرـتـ رسـالـةـ زـرـدـشـتـ فـيـ عـهـدـهـ وـالـذـىـ خـصـتـهـ الـأـوـسـتـاـ (ـالـأـبـسـتـاقـ)ـ بـفـصـلـ تـضـمـنـ نـصـحـ زـرـدـشـتـ لـهـ بـالـإـيمـانـ بـالـدـيـنـ الـجـدـيدـ وـدـخـولـ هـذـاـ الـمـلـكـ فـيـ الزـرـدـشـتـيـةـ .ـ

نـظـمـ الدـقـيقـىـ أـلـفـ بـيـتـ مـنـ هـذـهـ القـصـةـ وـحالـ الموـتـ دونـ مـضـيـهـ فـيـ نـظـمـ الـكـتـابـ ،ـ يـقـولـ الـفـرـدـوـسـىـ (ـولـكـنـ سـوـءـ الـخـلـقـ كـانـ خـلـدـنـ شـبـابـهـ ،ـ فـكـانـ يـقـطـعـ أـوـقـاتـهـ بـالـبـطـالـةـ وـصـحـبـةـ الـأـشـرـارـ حـتـىـ بـعـثـهـ الـموـتـ فـتـوـجـهـ بـتـاجـهـ الـأـسـوـدـ .ـ لـقـدـ سـلـطـ الـخـلـقـ الـدـمـيـ عـلـىـ الـرـوـحـ الـحـمـيلـ ،ـ وـمـاـ نـعـمـ يـوـمـاـ بـالـحـيـاـةـ .ـ ثـمـ انـقـلـبـ بـهـ جـدـهـ فـقـتـلـهـ أـحـدـ عـبـيـدـهـ)ـ .ـ وـيـعـرـ الـفـرـدـوـسـىـ عـنـ تـرـحـيـبـ الـفـرـسـ بـالـدـقـيقـىـ

أـجزـائـهـ الـتـىـ نـقـلـتـ إـلـىـ الـعـرـبـيـةـ أـوـ الـفـارـسـيـةـ .ـ إـنـاـ المـحـتمـلـ أـنـ يـكـونـ لـدـىـ الـفـرـدـوـسـىـ هـذـهـ التـرـجـاتـ الـجـزـئـيـةـ بـالـعـرـبـيـةـ وـالـتـرـجـمـةـ الـفـارـسـيـةـ لـهـ ثـمـ النـصـ الـفـهـلـوـيـ أـيـضـاـ .ـ إـلـىـ هـذـاـ الرـأـيـ الـأـخـرـ اـتـجـهـ فـوـنـ رـوـزـنـ فـيـ بـعـدـ الـأـخـرـ عـنـ الـتـرـاجـمـ الـعـرـبـيـةـ تـلـدـائـيـ نـامـهـ .ـ وـقـدـ اـنـتـهـىـ فـوـنـ رـوـزـنـ إـلـىـ أـنـ تـرـجـمـةـ اـبـنـ الـمـقـفعـ ،ـ وـهـىـ أـوـلـىـ تـرـجـاتـ الـخـدـائـيـنـامـهـ ،ـ تـلـهـاـ تـرـجـاتـ مـنـهـاـ مـاـ كـانـ نـقـلاـ صـادـقاـ عـنـ النـصـ الـفـهـلـوـيـ كـالـذـىـ عـمـلـهـ مـحـمـدـ بـنـ الـجـهـمـ الـبـرـمـكـىـ وـزـادـوـيـهـ بـنـ شـاهـوـيـهـ الـإـصـفـهـانـيـ ؛ـ وـمـنـهـاـ مـاـ كـانـ تـأـلـيفـاـ عـنـ طـرـيقـ الـتـرـجـمـةـ كـالـذـىـ عـمـلـهـ مـحـمـدـ بـنـ مـطـيـارـ الـإـصـفـهـانـيـ وـهـشـامـ بـنـ قـاسـمـ الـإـصـفـهـانـيـ ،ـ وـقـدـ اـسـتعـانـ هـذـانـ الـكـاتـبـانـ بـنـصـوصـ فـهـلـوـيـةـ مـنـ كـتـبـ أـخـرـىـ ؛ـ وـمـنـهـاـ مـاـ كـانـ تـصـنـيـفـاـ عـنـ طـرـيقـ الـتـرـجـمـةـ كـالـذـىـ عـمـلـهـ مـوـسـىـ بـنـ عـيـسـىـ الـكـسـرـوـيـ وـالـمـوـبـدـ بـهـرـامـ بـنـ مـرـدـانـشـاهـ ،ـ وـقـدـ أـضـافـاـ رـوـاـيـاتـ مـنـ نـصـوصـ أـخـرـىـ أوـ مـاـ سـمعـاهـ مـنـ الـمـوـابـذـةـ وـالـدـهـاـقـينـ .ـ وـيـذـكـرـ حـمـزـهـ الـإـصـفـهـانـيـ فـيـ تـارـيخـهـ أـنـ الـمـوـبـدـ بـهـرـامـ رـاجـعـ نـيـفـاـ وـعـشـرـينـ مـنـ الـتـرـجـاتـ الـعـرـبـيـةـ تـلـدـائـيـ نـامـهـ وـأـنـ الـكـسـرـوـيـ لـمـ يـجـدـ نـصـينـ مـتـفـقـينـ مـنـ هـذـهـ الـتـرـجـاتـ .ـ

وـتـتـقـنـ الـمـقـدـمـاتـ الـمـبـكـرـتـانـ لـلـشـاهـنـامـهـ عـلـىـ أـنـ (ـأـبـوـ مـنـصـورـ الـعـمـرـىـ)ـ تـرـجـمـ إـلـىـ الـفـارـسـيـةـ —ـ عـنـ الـفـهـلـوـيـةـ —ـ كـتـابـ خـدـائـيـنـامـهـ الـذـىـ كـتـبـهـ دـانـشـورـ وـذـلـكـ بـأـمـرـ مـنـ (ـأـبـوـ مـنـصـورـ بـنـ عـبـدـ الـراـزـقـ)ـ وـالـطـوـسـ فـيـ الـعـهـدـ السـامـانـيـ حـوـالـيـ سـنـةـ ٩٥٧ـ /ـ ٣٤٧ـ .ـ وـقـدـ سـاعـدـ الـعـمـرـىـ فـيـ تـرـجـمـتـهـ أـرـبـعـةـ مـنـ الـفـرـسـ هـمـ :ـ تـاجـ الـخـرـاسـانـيـ ،ـ يـزـدانـ دـادـ بـنـ شـاـپـورـ ،ـ مـاهـوـيـهـ بـنـ خـورـشـيدـ ،ـ شـادـانـ بـنـ بـرـزـينـ .ـ وـمـهـمـاـ يـكـنـ مـنـ أـمـرـ روـاـيـةـ الـمـقـدـمـتـينـ فـيـانـ عـزـامـ وـمـاسـيـهـ يـلـاحـظـانـ أـنـ الـفـرـدـوـسـىـ ذـكـرـ شـادـانـ بـنـ بـرـزـينـ فـيـ أـوـلـ قـصـةـ كـلـيـلـةـ وـدـمـنـةـ كـأـنـهـ الـذـىـ حـدـثـهـ هـذـهـ القـصـةـ .ـ وـيـقـولـ عـزـامـ ،ـ نـقـلاـ عـنـ نـوـلـدـكـهـ ،ـ أـنـ شـاهـوـيـهـ الـذـىـ يـذـكـرـهـ الـفـرـدـوـسـىـ رـاوـيـاـ فـيـ مـفـتـحـ قـصـةـ وـضـعـ الشـطـرـنـجـ قـدـ يـكـونـ تـحـرـيـفـ مـاهـوـيـهـ أـحـدـ أـلـرـبـعـةـ الـمـتـرـجـمـينـ ،ـ وـأـنـ

في نظم الشاهنامه قائلاً : « قال الدقيقى سأنظم هذا الكتاب ففرح الناس به أى فرح » .

* * *

وعزم الفردوسى على نظم الكتاب فإن ما لقيته قصص الأبطال من ترحيب الفرس شجعه على المضى فيما أخفق فيه سلفه الدقيقى . « ورغبت في الحصول على كتاب خدای نامه کی اُنقله إلى لغتی وکم من رجل سألت عن الكتاب دون جدوی . وکنت أخشى من الزمان وقصر الأجل فأتركه لغيري ؟ ثم ما آمل من ورائه من مجد قد يذهب سدى ؟ وقد لا أجد العظيم الذي يشيني بصلة على قد ما بذلت من جهد ، فإن الدنيا تعج بالخلف والزمن غير موات لمن ينشدون حسن الثواب . وممضى زمان لم أفض فيه لأحد يمكنون صدرى فلاني لم أجد من هو جدير بأن أحدهه بسرى . ثم كان الصديق الأمين الذي هو قطعة من نفسي فكاشفته بالأمر فقال : إنها فكرة حسنة ولسوف تسعد بها .

سأريك بالكتاب الفهلوى (البهلوى) فامض قدمًا ولا تتوان . إن لك موهبة النظم وإنك على سبك قصص الأبطال قادر . قص على الناس من جديد حوادث هذا الكتاب يقدرك أصحاب السلطان وتثال الجزاء الذي تبغي . وجاءه صاحبه بالكتاب فاطمأن الفردوسى إلى أن الطريق بدأ يفتح لتحقيق رسالته .

كان الفردوسى قد بلغ حوالي الأربعين من العمر حين بدأ ينظم الشاهنامه ، وكان عليه أن يتفرغ للنظم والقراءة والاستماع إلى قصص شيخ الوابدة أو غيرهم من يعون قصص ليران في صدورهم . كان عليه إذن أن يترك ضيعبته فلا يفلحها بنفسه فإن الفلاحة والأدب لا يجتمعان . ويتاح له أمر ذكي من ذرية الأبطال ، له دراية بالشعر وله ولع بأن يرى أمجاد أمته منظومة في سفر باللغة الحديدة ، هذا الأمير هو والي طوس « أبو منصور محمد» الذي يتعهد الفردوسى وبهـ له

من أسباب الحياة ما يجعله في غنى عن سؤال غيره : « ورعاى رعاية حسنة ولم يكن شئ يذكر صفو حياتي حتى لقد رقيت من أرضنا الدنيا إلى السموات العلي بفضل ما غرفني به من المال ، فقد كان يرى الذهب والفضة لا يساويان أكثر مما يساوى التراب » :

وأخذ الشاعر في المضى في النظم ، وأخذ الناس يتناقلون ما نظم من قصص وأصبح الفردوسى ذات الصيت في كل مكان حتى أنه هداً نفساً إذ أصبح من الحالدين .

واغتيل الأمير « أبو منصور » حاميه وراعيه ، وكاد النور الذى يضى له حياته أن ينطفئ لو لا أن قيس الله له حى (حسين) بن قتيبة والى خراج طوس الذى لم يكن يتلقى شعر الفردوسى دون أن يبعث له بعطاء جزيل « وهو الذى أعطانى العذاء والكساء و وهب لي الذهب والفضة فكنت أدفع ما على من الخراج دون مشقة وعشة في رغد وهناء » .

ولم تكن الحياة السياسية مستقرة لآل سامان ، وبدأت القبائل التركية تتطلع إلى الحكم ، والقصة الأزلية التي تصورها الشاهنامه للحرب بين توران وإيران بدأت جلية وقد اقترب الفردوسى من الفراغ من كتابه . وعلام الإدبار بادية على الدولة السامانية التي احتمى في ظل حكامها وعلام الإقبال بدت واضحة للتورانيين الذين كانوا أبناء لاجند السامانيين . ففى ٩٦٢ / ٣٥١ يظهر الب تكين التركى في غزنة . وفي ٩٩٩ / ٣٩٠ يستولى الب على غور وخراسان ، وتأخذ الدولة الإيلخانية ما وراء النهر . وهذه الأحداث توثر أشد التأثير في حياة الشاعر الذى تخلى عنه الأمراء الذين ساندوه ، واضطر أن يعتمد على غلات ضيعبته مرة أخرى ، والنظرية السوداء سيطرت على روئيته للأشياء ، وجاء ضغثا على إبالة سقوط الثلج الذى أتلف الزرع وأحال الحياة إلى موات . « وتجمع السحاب وأظلم

الذى بذل فيها ، فقد قبل عمله الجيد بالصدق ونكر أن الجميل « بلغت الخامسة والستين وإن روحى قلق كثيف . وأشعر أنى كلما مضيت أبحث فى سر الملك يتوقف عن السير نجمى وبأفل . كم من عظيم بلغ الأوج فى نسبة وعلمه بفضل كتابى وكم من حاكم اشتهر بكلامى . كلهم يستنسخ شعرى بالحان وأنا فى مكان قصى أنظر وأرى . لمهم بحسبونى أجراً مرتقاً فى أسرهم . لست ألقى منهم غير « أحسنت » ولقد خارت قواى مع هذا الشاء الرخيص ، أما خزانهم العamerة فوصلة أمام قلبى الكسير » .

* * *

بعض مخطوطات الشاهنامه تذكر أن الفردوسى أنهما في هذه الظروف الحزينة سنة ٩٩٤ / ٣٨٤ ، والبندارى مترجم الشاهنامه للعربية (٦٢٠ / ١٢٢٣ - ٦٢٤ / ١٢٢٧) من هذا الرأى . ويرى ماسيه أنه يمكن القول بأن الفردوسى أتم في هذا التاريخ كتابته الأولى للشاهنامه ، ثم إنه استكمل ما فاته في الكتابة الأولى وفرغ من هذا كله سنة ٤٠٠ / ١٠١٠ .

ويذكر الفردوسى في مقدمة « يوسف وزليخة » أنه مل ذكر الملك .

وضاقت خراسان في وجه الشاعر ولم ير بدأ من التفكير في الهجرة إلى العراق . وكان من الطبيعي أن يفكر الفردوسى في الدولة البوهيمية ، فأمراؤها فرس يحبون إحياء التراث الفارسي وهم شيعة وهو الفردوسى معهم . ثم إن دولتهم تمتد إلى الغرب والجنوب من فارس فهي بعيدة عن خراسان . ومهما يكن من أمر الخصومات بين أمراء البوهيمين فإنها أقل خطراً من فتن خراسان . وسار الفردوسى إلى مدينة الري (من نواحي طهران) ليتوجه منها إلى إصفهان ثم إلى إقليم الأهواز . كان أمير البوهيمين حينذاك « بهاء الدولة أبو منصور فiroz » (٣٧٩ - ٤٠٣) ، وكان من رجاله الموقف

القمر وهطل الليل من السحاب الأسود فلا ترى نهراً ولا سهلاً ولا جيلاً ولست ب قادر على رؤية جناح الغراب ولم يبق لي من زاد أطعمه أو وقود أصطلي بناره ، وعلى أن أنظر الموسم القادم للشاعر . في هذه الأيام التي أظلم نهارها ، وفي حالة الفزع الذى ينتابنى مما على منحراج ، وبينما كسا الليل الأرض فكانها جبل من العاج ، كسدت بضاعتي والأمل معلق بصديق يأتى لنجدنى » ؟

كانت هذه حالة الفردوسى وهو في الثامنة والخمسين من عمره ، وتحمل الأديب مشاق الحياة ، حاملاً العسر على اليسر ، ولكنه حين قارب الخامسة والستين أوجعه ريب المنون فقد مات ولده وكان في السابعة والثلاثين . وبكى الشيخ ولده وزهد من بعده في الحد الذى كان يرتفع وأصبحت الدنيا لديه لا تساوى شيئاً ، لقد هذه الحزن وأحس بأنه لاحق مستتبع . « لقد كانت نوبتي في الرحيل ولكن ولدى الشاب ارتحل فخلف لي الحزن الذى أحالنى جسداً بغير روح . إنني أبحث خطای عسای أن الحق به ، ولى معه حين ألقاه عتاب رقيق : لقد كانت النوبة نوبتى في الرحيل فلم ارتحلت يا بني دون إذن مني ورضا وحرمنى راحة البقاء . لقد كنت لى الفرج عند الشدة فما الذى حملك على أن قسلاك طريقاً غير طريق صاحبك الشيخ الكبير . أقيمت في الشباب رفاقاً فآثرتهم على مضيبي وخلفتني وحدى » .

« إنه حين بلغ السابعة والثلاثين لم تعجبه هذه الدنيا فغادرها .. غادرها وقد ترك لى الحزن والقهر وأغرق في الدم عيني . إنه الآن في عالم النور وسيختار لأبيه مكاناً بقربه فيه . لقد انقضى زمن طويل ولم يعد أحد من رفاقه في الطريق ، لعله ينتظرنى ويجد أن الحق به » . والشاهنامه التي كبرت ونمّت وكادت تتم والتي كانت رسالة يعلم لها أصبحت شيئاً لا يستحق الجهد

إصفهان ثم إلى موطنها ، طوس ، حيث كانت الدولة في يد محمود الغزنوي .

لم يكن قد مضى وقت طويل على وفاة الصاحب بن عباد الذي كان من وزراء البوهيين ، والذى شجع الشعراء والكتاب . وكانت سيرة الصاحب سنة متقدمة من بعده ، ولعل الفردوسى أراد أن يحظى في خان لنجان — من ضواحي إصفهان — بعطف الحاكم الذى قد يتحقق له بعض الرجاء .

جاء في مخطوطتين للشاهنامه أبيات تقول بارتحال الفردوسى إلى إصفهان وتصوره وقد بلغ خان لنجان معدماً لا يقدر على شيء فإذا خذله الحاكم ويكسوه ويطعنه . ولكن رجل سوء يسعى بالشر ، كالحمار ، وبينه وبين الحاكم ويختلف الفردوسى أن يتغير قلب الحاكم عليه . ويحدث أن يخرج الشاعر في رحلة معه في نهر « زرين رود » ويقع الفردوسى من القارب ويقاد يغرق فيشمر الحاكم ويجدبه من شعره وينقذه ويرده سالماً إلى السفينة ويبدى الفرح بنجاته فيليب القراء ذبيحة فداء له :

و مختلف الكتاب في نسبة هذه الأبيات للفردوسى : يرى فروغى أنها منتحلة فهى تم عن أسلوب أحد النساج المتأخرین . ويرى تقى زاده أنها صحيحة وكان نولدك وشifer يريان صحتها كذلك . ونحن نؤيد نسبة الأبيات للفردوسى .

ويخرج الفردوسى من إصفهان قاصداً خراسان ، طوس ، حيث الدولة التركية ، الغزنوية ، قد استقر لسلطانها محمود الأمر في المشرق الإسلامي . ترى هل يريد الشاعر الذي بلغ من الكبر عتياً والذى يصف نفسه « بأن دوحة شبابه ذلت ، وظاهر إهابه تغضن ، وألف قامته بعد الاعتدال صارت كالمال ، وعقد آلىء أسنانه آذن بالانسلام والانحلال » هل يريد أن يعود لوطنه حيناً إليه ؟ أم أن بلاط السلطان محمود قد

(أبو علي حسن بن محمد بن إسماعيل الإسكافي) الذى حث الفردوسى على نظم « يوسف وزليخة » وذلك بين سنتي ٣٨٠ و ٩٩٠ / ٣٨٦ و ٩٩٦ . وأشارت آمال الشاعر من جديد ، فإنه قد يظفر بربضاً « ملك الإسلام » وحسبه أن يظفر بإحدى مراتب حاشية بهاء الدولة إذا ما تقبل شعره قبولاً حسناً .

هكذا يصف المؤرخون والشاعر نفسه إقامته في العراق وإلى من كتب يوسف وزليخة . وهناك روایة أخرى تقول إن الشاعر في أواخر حياته سار إلى بغداد حيث طلب إليه الخليفة أن يكفر عن نظمه مجد إيران المرادية بنظم قصة مستمدة من القرآن . وعندها أن هذه الروایة وضعت ردآ على توهم بعض الكتاب أن الشاهنامه قامت على أساس من الشعوبية ومحاولة رد الشاعر إلى الطريق المستقيم . والحق أن الشاهنامه عمل فى رائعة قصد به إحياء تراث إنسانى عظيم حرص العرب على إخراجه باللغة العربية قبل أن يحرص الفرس على إخراجه ثرآ أو نظماً بالفارسية الحديثة . وأمهات الكتب العربية مليئة بالكثير من الأخبار الواردة في الشاهنامه . وإحياء النص العربي للشاهنامه ، ترجمة البندارى ، كان أول رسالة للدكتوراه قدمت إلى الجامعة المصرية (جامعة القاهرة) . والنظر إلى الشاهنامه على أنها وليدة عصبية معينة يتتجاذب مع ما لهذا الأثر الخالد من قيمة فنية لا مراء فيها . وينفي مasisie روایة توجيه الخليفة للفردوسى لينضم قصة من القرآن .

أرضت قصة « يوسف وزليخة » الأوساط الدينية ولكنها لم تستطع أن تعلو على الشاهنامه وتثال شهرتها وذيعها . وكان الفردوسى ينشد الأمان والسلام في العراق ولكنه وجد الأحوال فيه تتبدل . والموقف ، الذى عاشه وهياً له سبيل الاتصال بالأمير البوهى ، يفقد مكانته عند الأمير الذى يأمر بإلقاء القبض عليه . ويفقد الشاعر مكانته أيضاً ويفكر في الانتقال إلى

في أعمال الديوان . هو إذن يسير قاصداً « محمود ، الملك الشجاع الأصيل ، الذي يغلب على العبر براثن الأسد . ملك العالم — محمود — مسرع الهيجة ، وناشر رؤوس الأبطال على الغراء » ؛ وقادداً « الفراش المبوسط على الزمان ، الذي لا يطويه الحدثان . مكان السرير من ذلك البساط المهدى ، مجلس « الفضل بن أحمد » الذي نشر في المملكة الطمأنينة ، وأوحى إلى الكباء العقل والسكنية . ما ظفرت الملوك بمثله وزيراً ، حزماً وجوداً ورأياً مثيراً . طاهر اليد ، فصيح اللسان ، مخلص لله وللسلطان . لقد كشف عن الغم والحزن ذلك الوزير العادل رب الفطن » . وهو في سعيه إلى غزنة ينشد « الجواد المفضل الذي لا تضره دون نواله الأफال » ؛ وفي يمينه كتابه « تم على السنين ويتلوه كل حكيم فطين » ، « وطده قصرأ عظيم الخطر ، يهز أبعضنات الريح والمطر » .

ولكن القدر الذي حرم الفردوسى من حماته ورعايته يضن عليه بالإقبال هذه المرة أيضاً وقد أوشك على المثاني . من قبل اغتيل الأمير « أبو منصور محمد » وإلى طوس ، فلما ذهب للبوهين وجاه « الموفق » لم يلبث هذا أن غضب عليه السلطان فزع له وقتله . وفي هذه الرحلة الأخيرة يظهر الوزير « الميمendi » وهو أفعانى — من غزنة — وينجح في إقصاء منافسه « الوزير الفضل بن أحمد » ويقتلته ، وتعود اللغة العربية لغة الديوان ، ويتوارى إلى حين محبو التراث الفارسى واللغة الفارسية ، وعلى أية حال يتغير الجو بالنسبة للفردوسى ، وينذهب الأمل في أن يكون الكتاب « عونى في الكبير ومدى بالمال والمحبد والصيت الأغر » يذهب هذا الأمل أدرج الرياح . محمود تركى صمم لا يستطيع أن يتندوق ما ذكره الفردوسى من غلبة أبطال إيران على توران ، مهما تكون روعة هذا القصص الإيراني . ومحمود بن سياسته على التشدد في التسلك بالدين فلا يستطيع أن يحيى الإشادة بالمردية . والوزير الميمendi يعرف

استهواه وجذبه إليه . يصور العروضى في جهاز مقاله كيف كان محمود يجمع أهل الأدب والعلم في بلاطه ورسالته خوارزمشاه معروفة ومعروف أن ابن سينا رفض التوجيه إليه . ويصور العتبى في تاريخه أن وزير السلطان : « أبو البابس الفضل بن أحمد » كان يؤثر اللغة الفارسية ويستخدمها في الدوادين والرسائل وأن العربية في عهده أهمل شأنها « حتى كسدت سوق البيان وبارت بضاعة الإجادة والإحسان » ، فمن الطبيعي أن يلقى الشاعر الذي نظم الشاهنامه بألفاظ تكاد تكون قاصرة على الفارسية عطف هذا الوزير الذي قد يتبع له فرصة القربى من السلطان محمود .مهما يكن فإن الفرنوسى سار إلى طوس وفي نيته تقديم كتابه لسلطان الدولة الجديدة التي أدالت من السامانيين . ومايسير أن يسطر الشاعر أبيات الشعر في مقدمة كتابه وفي ثناياه وخاتمه ، يقول « ما عرف الناس مثل هذا الملك مذ خلق الله العالم . لقد لاح تاجه على العرش فاز دانت الأرض كأنها قطعة من العاج وضامة . كلام لا يجعل الشمس المضيئة مثلا له ، فمحمد قد وضع على تاج الشمس عرشه .. وقد طلع نجمى به وكان غارباً ، وفاض معن الفكير وكان ناصباً .. » .

وفي طوس لبث بعض الوقت ، لعله كان يكتب مدائح محمود ويوجه الدصائح له في ثنايا كتابه ، وفيها لقى أنها محمود حاكم خراسان « الأمير نصر » كما لقى الحاجب أرسلان الجاذب ؛ والفردوسى يحفظ لها حسن لفائه .

ويذكر الروضى في جهاز مقاله أن رجلين عاونا الفردوسى في هذه الفترة هما « على الدليلى » الذى كتب الشاهنامه في سبعة مجلدات و « أبو دلف » الذى كان ينشدها . ومع هذين الصديقين توجه الفردوسى إلى غزنة ، إلى حضرة السلطان محمود ، وإلى وزيره « الفضل بن أحمد » الذى يحب اللغة الفارسية ويؤثرها

بهم الفردوسى في كتابه . وكما فكر ابن سينا في أن يلجم إلزام الزياريين فكر الفردوسى ، وهو الخبير بتاريخ إيران القديم ، في أن يلجم إلزامير لا شك في صحة نسبة إلى الساسانيين ، وهو أمير تابع في ذلك الوقت للزياريين (ابن الأثير سنة ٣٨٨). وشد الشاعر ، وهو ضيق الصدر ، رحاله إلى طبرستان . هناك حكم رجل من أسرة قارن ، إحدى الأسرات الست القديمة في تاريخ إيران ، اسمه شهريار . والمعروف أن طبرستان — كما يقول «لوسترانج» في «بلدان الخلافة الإسلامية» — هي آخر إقليم إيراني دخل في الإسلام . وأن حكامه الذين حملوا لقب اصحابه (سپاهيد) ظلوا بعد الفتح العربي لبلادهم يحكمون مستقلين ، لم نعودهم الفهلوية ولم دينهم الزرديشتى ، وكانوا كما يقول «كريستنسن» فرعاً من الأسرة المالكة الإيرانية القديمة . وظلت أسرة قارن تتمتع بامتيازها في تحديد سلطنة الملك ، وفي التتويج بتاج أصغر من تاج الملك ، في العهد البرقى وكانوا يحملون لقب «پهلو». وشهريار الذى قصده الفردوسى هو «شهريار بن شروين بن رسم بن سرخاب بن قارن بن شهراب». سار الفردوسى إلى طبرستان التي يطلها جبل دنباند موطن السيمرغ الذى تبنى زال والد رسم ، وهو البطلان اللذان أشادت بهما الشاهنامة ، لعله يجد عند أميرها ملاذاً بعد أن اقترب من المئتين وأصبح خالى الوفاق وإن كان بين يديه أعظم كتاب في الأدب الفارسى . ويلتقي بش شهريار ويقول : «أحوال هذا الكتاب من اسم محمود إلى اسمك فإن هذا الكتاب كله أخبار آجدادك وما ثرهم». ولكن شهريار يهدى من روح الشيخ الكبير ، فهو عاطف عليه ، محب للعمل الرائع الذى قام به ، عازم على أن يمنحه بعض المال ليعينه عوناً ما . خفى على الفردوسى أن الزياريين ، والأمير من أتباعهم ، قد أصبح هواهم مع محمود منذ سنة ٤٠٣ / ١٠١٢ ، ولا يستطيع شهريار أن يأتي بعمل

للشاهنامة قدرها ولكنه لم يكن يستسيغ استخدام الفارسية في الأدب وفي الديوان فهو لا يستطيع أن يكافئ الفردوسى المكافأة التي يستحقها صاحب هذا العمل العظيم . ثم إن هذا الوزير جاء على أثر ضائقة مالية هي التي أودت بسلفه وكان السلطان محمود في حاجة إلى المال الكثير لغزوته في الهند فلم يكن في مقدور الميمundi أن يشير بإعطاء الفردوسى صلة تتناسب مع قيمة الشاهنامة وهو الحريص على توفير المال للسلطان . وقدرأينا أن الفردوسى ذهب إلى بلاط البوهين حين رأى ما سبق القضاء على الدولة السامانية من فتن ، فهو إذاً شيعي من طوس ، وهو يلجم إلزام الدولة الشيعية . فهو إذاً شخص غير مرغوب فيه من الدولة الجديدة الغزنوية . ولو أن الميمundi قدر الشاهنامة كعمل فني لا دخل للمذهب الدينى فيه فإنه قد يعرض نفسه لمنافيه ولمن يحيطون بالسلطان الذى كان بنفسه حريصاً أشد الحرص على أن يقصى الشيعة من حوله . وقد تعرض رجل من كبار رجال هذا السلطان لسخط خلفه مسعود ولم تكن جرينته تؤدى إلى شنقه لو لا أنه أتهم بصلته بال الخليفة الفاطمى بالقاهرة . فالتشيع كان أمراً غير مرضى عنه من الغزنويين ، ومن هنا كان الوزير الميمundi غير حريص على مكافأة الفردوسى المكافأة التي يستحقها . والفردوسى لم يذكر الميمundi في الشاهنامة ، فقد كان عازماً على تقديمها للسلطان في عهد وزير القتيل «الفضل» . بحدثنا العروضى في جهار مقاله بأن السلطان سأل من حوله كم يعطى الشاعر فقالوا خمسين ألف درهم واستكثروا هذا المال فأرسل السلطان له عشرين ألف درهم . ولا تعد هذه الصلة شيئاً إذا قيس بما كان يبذله محمود للشعراء الذين يمدحونه . وكان «محمود» لم يلتفت إلى الكتاب الذى جمع «تراث الفرس» الذى حرص على إحياءه العرب والفرس جميعاً ، إنما عنى بذكر اسمه فى الكتاب فتمثل جوده فى هذا المبلغ الضئيل مكافأة على حشر اسمه بين أسماء الأبطال الذين أشاد

ثم يتجه إلى السماء يسألها : « أيتها السماوات العلي لماذا أفقرتني في شيخوختي ، لقد كنت سمححة معى في صبائى فلما كبرت تركتني للهوان . . . » .

وفي غزنة كان السلطان محمود قد ندم على سوء تصرفه مع الفردوسى . هل هي وساطة شهريلار « الذى قدم لمحمود يداً عظيمة وقد عرف له محمود حقه » كما يقول العروضى ؟ أو هل هو « نصر » والى خراسان الذى تدخل عند أخيه السلطان محمود ليفرضى عن الفردوسى ويقدر عمله ؟ أو هل هي قصص الشاهنامه وكانت يتغنى بها الناس فى كل مكان عرفت فيه ؟ كل هذه الفروض جائزة كما يقول « ماسية » . ويروى العروضى أنه « سمع سنة ٥١٤ فى نيسابور من الأمرى معزى أنه سمع من الأمير عبد الرزاق بطوس أن محموداً كان فى الهند مرة ، وبينما هو عائد منها إلى غزنة عرض له ثائر فى قلعة حصينة وكان منزل محمود فى اليوم资料 the second day of the month of Rabi' al-Akhir . قال العروضى أن ثائر أتى به إلى القلعة ، فأرسل إليه رسول أن ائتمه غداً وقدم الطاعة . . فلما كان الغد ركب محمود . وبينما الرئيس الكبير (أحمد بن حسن الميمنى) يسرى عن يمينه إذ عاد الرسول وأقبل شطر السلطان . فقال السلطان للرئيس الكبير ، ماذا يكون الجواب . فأنشد الرئيس بيت الفردوسى : إن لم يأت الجواب كما أريد فأنا وبالحرز والميدان وأفراسىاب . قال محمود من هذا البيت الذى تبعث الشجاعة منه ؟ قال للمسكين الفردوسى الذى احتمل العناء خسراً وعشرين سنة وأتم هذا الكتاب وما جنى أية ثمرة . قال محمود : أحسنت بما ذكرتني فقد آسفتى أن يحرم عطائى هذا الرجل الحر ، ذكرنى في غزنة لأرسل إليه شيئاً . ثم أمر له بستين ألف دينار ، يعطى لها نيلجا وتحمل على الإبل السلطانية إلى طوس ويعتذر إليه . ومضت سنون والرئيس فى شغل بهذا . . وأخيراً وصل النيلج سالماً إلى الطبران » . (كانت طوس تتألف من المدينتين التوأمين الطبران ونوقان) .

يغضب « محمود » ، والشاهداته التى لم يقدرها محمود لا يستطيع هو أن يبدى إعجابه بها ولا أن يصل الشاعر بما يتكلفاً معها . هون على الفردوسى وأكده له « أن محموداً حمل على هذا وأن الكتاب لم يعرض عليه وأنه سعى بك ؟ ثم أنت رجل شيعى ، وكل من تولى آل البيت لم تستقم له أمور الدنيا إذ لم تستقم لهم أنفسهم ». وكان الفردوسى قد نظم مائة بيت فى هجاء السلطان محمود فعرض شهريلار أن يشتري هذه الأبيات ، كل بيت بآلف درهم ، على أن تبقى الشاهنامه باسم محمود وعلى أن يمحو شهريلار أبيات الهجاء . وقبل الفردوسى . وبعد قرابة مائة عام يذكر العروضى ستة أبيات من هذا الهجاء تبين مدى غضب الشاعر على محمود الذى خيب أمله فيه . « لقد قالوا طاعنن : إن هذا المنطيق شاب على حب النبي وعلى ، ولئن حككت لهم حبي لأحمن مائة مثل محمود . إن ابن الأمة لا يرجى خيره ولو كان أبوه ملكاً . حثام أطيل الكلام فى هذا ، وهو كالبحر لا أعرف له قراراً . لم يكن للملك قدرة على الخير ولا لرفعى على العرش ، ولم يكن عظيم الأصل فلم يحسن أن يستمع أسماء العظاء » .

والأرجح أن محموداً لم يسمع هذا الهجاء فلو أنه لم يمح وعرف به محمود لما عرف لشهريلار حقه فكافأه ولما استطاع الفردوسى أن يعود إلى بلدته طوس بعد مراضاة شهريلار له . ومن المستبعد أن يعيده الفردوسى سطراً هجائى لمحمود بعد أن قبل شراء شهريلار لهذا الهجاء ، وبعد أن وعد ببقاء الشاهنامه باسم محمود ، وترك مدحه لإياه - وهو في جميع مخطوطاتها - .

وعاد الفردوسى إلى طوس مهد شبابه ، جسداً محطمًا وروحًا حزيناً : « قليل من الناس يتتجاوزون السبعين وأنا أدرى أن ليس لهؤلاء غير الألم والبكاء على حياة أية حياة . لقد مس المرض قدمي فأقعدنى وأذنى ففيهما وقر . وعدت على السينين وأسلمتني إلى الفقر والعوز » .

دون جدوی ، وكان للفردوسی حديقة عند هذه البوابة – اقتناتها من صلة شبریار – فدفوه بها . وزار العروضی قبره فيها سنة ١١١٦ / ٥١٠ :

* * *

أقام أرسلان الجاذب ، حاجب طوين من قبل السلطان محمود ، قبة على قبر الفردوسی . وهدمت القبة وأعيدت في عهد المغول . وفي القرن العاشر المجري كتب دولتشاه أن قبر الفردوسی معروف بزوره المعجبون به . وفي القرن نفسه كتب نور الله الشستری أن القبر أصبح خراباً كطوس نفسها وأن هدمه كان بأمر من عبیدالله خان الأوزبکی و «أن كثراً من الناس . وخاصة من الشيعة الإمامية ، يزورون هذا القبر الذي شرفت بزيارته» . (تاريخ بخاری ، فامبری ، ترجمة السادی) .

ورأى سایکس ، صاحب تاريخ ایران ، القبر وصوره في كتابه ، ولا يتبيّن في الصورة إلا أحجار متّورة في العراء .

ومن بلغ شهرة الفردوسی ، وخالف أثراً كالشاهنامه ، هو أنس التراث في أمة ، لا يعنيه قبر مشید ؛ وكأن مولانا الرومي يعنيه حين يقول : «لا تبحث تحت الثرى عن ترابنا
فقلوب أحبابنا خير قبورنا»

في عام ١٩٢٥ تألفت في طهران جمعية لإحياء ذكرى الفردوسی وتشييد قبر له . وفي سنة ١٩٣٤ احتفلت ایران بمرور ألف عام على الفردوسی وأقامت له قبراً مهيباً حيث دفن ، يراه الزائر على مسافة أربعين كيلو متراً من مشهد ، مدينة الرضا عليه السلام .

- ٢ -

والشاهنامه ستون ألف بيت بالتقريب ، والمطبوع والمخطوطات تختلف في العدد . وإذا استثنينا الآيات الألف التي نظمها الدقيقى وأدخلها الفردوسی في

المعروف أن الوزير الميمندی عزل سنة ٤١٦ / ١٠٢٥ ، وسبق عزله هزات عنيفة لمركزه ، ورغم أخوته في الرضاة للسلطان محمود ومع ما بلغه من قوة حن أصبح وزيراً ، فإن خصوصه كثُر عددهم ، ونجحوا آخر الأمر في إقصائه وولي مكانه حسنک (أبو على الحسن بن أحمد العباس) .

ويصور سيف الدين حاجی في كتابه «آثار الوزراء» (منشورات جامعة طهران ١٩٥٨) ما كان من محاولات للإيقاع بالميرندی وقد طالت سنوات قبل عزله . وحسنک هذا شنق ، كما قلنا ، في عهد السلطان مسعود بمحجة صلته بالخليفة الفاطمی مصر وكان شقيقه بإيعاز من خليفة بغداد (القائم بأمر الله) . ومن المحتمل إذاً أن الميرندی ، مجازة لميل أقوى خصوصه ، رق الفردوسی وعمل على كسب رضاء السلطان عنه .

ومهما يكن فإن الشاعر الشیخ الحطم يتوفى قبل أن ينال صلة السلطان «فینیا الإبل تدخل من باب روبار كانت جنازة الفردوسی تخرج من باب رزان» .

أما صلة السلطان فهناك روایتان عنها . واحدة تقول إن الفردوسی خلف بنتاً عظيمة النفس أرادوا أن يسلموها إليها هبة السلطان فأبانت ، حرضاً منها على كرامة أبيها وإجلالاً للشاهنامه التي أصبحت بعد موتها ناظمها فوق الصلات . قالت «لا حاجة بي إلى هذا المال» ، فعمروا به رباط جاهه في حدود طوس . والرواية الثانية تقول إن المال عرض على أخت الفردوسی فأخذته وأنفقتها على إقامة جسر على النهر الذي كان يروي أو يطغى على أرض الفردوسی فتحققت لأخيها أملاً طالما تمناه في أشعاره .

وتلائق تهمة التشیع جنازة الفردوسی ، يقول العروضی إن واعظ الطبران المتعصب لم يجز حمل جنازة الفردوسی إلى قرافات المسلمين بمحجة أنه كان رافضياً وأن الناس أطلقوا الحديث إلى هذا الواقع

ثم الأشكانيين (البرت أو ملوك الطوائف) الذي ينهي عهدهم اردشير مؤسس الأسرة الساسانية .

والساسانيون حكموا ، حسب الشاهنامه ، سنة ٥٠١ ميلوكهم ٢٩ . وفي التاريخ أنهم حكموا ٤١ سنة وملوكهم ٣٦ ملكاً . وتاريخهم ثابت مما كتب عنهم سواء عند مؤرخي اليونان أو في الكتب الپهلوية ثم العربية . وفي هذا القسم الأخير تعتبر الشاهنامه مصدرآ تاريخياً للحضارة الإيرانية بوجه عام .

* * *

تصور الفترة الأولى من الشاهنامه التحول الحضاري لشعب إيران . فالمملك قد اختير على أساس القدرة على فض المنازعات بين القبائل المتخاصمة أو على الحكم في الخلاف بين الأفراد . فهو القاضي الذي يرتضى الناس حكمه ولذا يجب أن يعرف بالعدل . وهو قريب من الله وفيه من روحه ولذا فإنه يعبد وهو يفضى بالملك إلى أبنائه من بعده . والدنيا سكنت بالإنس والجن فكان على هذا الملك أن يحمي الشعب من الشر الذي يذيعه الشياطين ، وأن يحارب هذه الشياطين التي تمثل في التنين وغيرها من الحيوانات المخيفة المفسدة . وفي هذه الفترة اكتشف الملوك وسائل الحياة من الملابس والنار والزراعة والكتابة وأكل لحم الحيوان . كما قسموا المجتمع إلى طبقات وأقاموا العماير ونظموا الجيش .

فالمملك هو شريك مثلاً بجذار الجبل ذات يوم مع بعض رجاله فيرى ثعباناً ضخماً يتطاير الشرر من عينيه وتنظم الدنيا من حر أنفاسه ، فيأخذ حجرأً ويلقيه عليه بكل قوته فإذا الثعبان يجرى ليختبئ ولكن الحجر يقع على صخرة فتخرج شرارة من تكسر هما ويحرر موضع الشرر . وببدأ ظهور النار . وقد دعا الملك الناس إلى التوجه بالشكر إلى الله لأنه هداهم إلى النار . وفي الليل أشعل ناراً عظيمة التف حولها مع صحبه وشربوا الخمر . وسما هذا الاحتفال سده (السدق) .

كتابه ، فإنها تكون كلها نتاج شاعر واحد . ولا يباري الشاهنامه في طولها كملحمة إلا بعض الملاحم الهندية ولكن الشاهنامه تمتاز بأنها نظم شاعر واحد .

وهي تتناول قصص وتاريخ أربع أسرات : البيشدادية (أهل العدل) ، الكيانية (كي ، كاوى بعنى الملك) ، الأشكانية ثم الساسانية . ولم تشر الشاهنامه إلى الأسرة السلوκية ، خلفاء الإسكندر .

والقصص الذي يروى تاريخ الأسرتين الأولى والثانية يكاد يكون خرافياً كله . فلوك الأسرة الأولى عشرة حكموا ٢٤١ سنة ؛ وملوك الأسرة الثانية عشرة أيضاً حكموا ٧٣٢ سنة .

وقصص الأسرتين موصولة ومتصلة بالأساطير الهندية إلى عهد هراسب الذي كان قد ترك الملك وتفرغ للعبادة ثم جاء الملك التركي ارجاسب وقتله .

بعد هراسب يأتي عهد كشتاسب ، الذي ظهر في أيامه دين زرداشت ، وبه تبدأ القصة التاريخية وتكون أقرب إلى التاريخ ، ويمكن إدخال الدور الأكميني (الفخمانشي) في هذا العهد . فكوروش الكبير (الثاني) هو كيحسرو وقمبز هو كيكاووس وبهم هو ارت خشر (اردشير الأول - ارتجرسيس) وهكذا . والشاهنامه ، على خلاف التاريخ ، تنهي هذه الأسرة بحكم الإسكندر المقدوني وتجعله صمن الكيانين ، فهو ليس أجنبياً عن إيران حتى يعد غازياً لها إنما هو ابن داراب ، وداراب هو أخو الملك دارا الثالث الذي تزوج بنت فيليب ملك الإغريق فأنجبت له الإسكندر الإيراني .

والأسرة الثالثة ، الأشكانية (دولة البرت) ، حكمت في الشاهنامه ٢٠٠ سنة ، ولا تذكر الشاهنامه أسماء حكامها جميعاً ، وهي تعدهم أجانب ولا تعنى بهم . والتاريخ يذكر ، بعد الإسكندر ، السلوكيين

الحيتين . وأخذ إبليس هيئة الطبيب ودخل على الملك فقال له هذا قدر كتب عليك والعلاج أن نطعم الحيتين حتى لا يضيع منها الملك وطعامهما لا يكون إلا من أدمغة البشر . فأخذ الملك برأي الطبيب وقتل ما لا يحصى من الخلق لإطعام الحيتين بأدمغتهم . كان كل ليلة يأمر بقتل رجلين .

وكان جمشيد طفل هربت به أمه إلى الهند وأحسنت تربيته حتى إذا شب وعرف ما يجريه الصحاك من المظالم في إيران أخذ يستعد لتخليص البلاد من شره . والصحاك في الوقت نفسه يسرف في الدماء ويتبع أخبار هذا الولد — افريیدون — الذي حدثه المنجمون عن أمره ويجمع الصحاك العلماء والزهاد من حوله عسى أن يدفع عن نفسه بعوهم . ذات يوم يثور «جاوه» وهو حداد قتل أحد ولديه وجاءت التوبة في اليوم التالي على ابن الثاني . ورفع «جاوه» قطعة الجلد التي يعطي بها قدميه عند طريق الحديدية المحمة ونادي من ورائه خلق كثرون بشعار افريیدون الذي اتجه القوم إلى محبته ليأخذوه ويجلسوا على عرش أبيه . ويقود افريیدون الثوار ويهزم الصحاك وفي اللحظة التي يرى أن يهوي بجزءه على رأسه كالصاعقة يمثل ملك أمامه ويقول «إن الله يأمر بعد أجل هذا الشعب حتى يعذب طوال الزمان ، شد وثاقه والقه حبيساً فوق جبل دنبانت ». وبهذا انتهى عهد الصحاك الذي دام ألف سنة .

وظل علم جاوه «درفش کاویان» علم إيران منذ ذلك الزمان .

* * *

وعيد افريیدون يوم ارتقائه عرش إيران أول يوم من ماه مهر ، وعرف هذا العيد باسم المهرجان . وكان له ثلاثة أبناء زوجهم من ثلاثة أنحرات هن بنات ملك اليمن (سرو) . واستقر له ملك الدنيا فائز الاعتزال للتعبد وقسم ملكته بين أولاده الثلاثة . فأعطى

والملك جمشيد الذي حكم ٧٠٠ سنة استخدم الحديد وأعد منه السيوف والرماح ونسج منه الدروع وعمل الجواشن والتجافيف وسائر أدوات الحرب في زمانه . وعرف الملابس من الكتان والإبريم وعلم الناس كيف ينزل الغزل وينسج . واستحدث الأبنية وشاد المدن . واستخرج الذهب والفضة والياقوت والفيروز فرصع بها المناطق والأساور والعصائب . ثم استخرج الطيب ، المسك والكافور والعنبر . وأظهر علوم الطب وخصائص الأدوية . وصنع المراكب وجاس بها البحار . وكان يسخر الجن لتخنهأ مر صعا بالجواهر ورتب له حملة منهم فكان مجلس عليه وهم يرقصون في الهواء ويحملونه إلى حيث أراد . ووضع عيد النوروز فقد كان حمل الجن لتخنهأ أول يوم في السنة والشمس في برج الحمل فعيد اليوم وسماه النوروز . وقد طفى وله في الحكم ٣٠٠ سنة ونسى ربه فنها رجل الدين عن ذلك فلم يأبه لقولهم فكان أن غلبه الصحاك وحمله على الهرب ٤٠٠ سنة ثم قده في نهاية الأمر نصفين بمنشار .

والصحاك (ازدهاق) وهو ببوراسب (صاحب عشرة آلاف فرس) ، كان أبوه مرداش ملكاً تقىاً في الصحراء التي يسكنها الفرسان رماة السهام — العرب — وجاء إبليس إلى الصحاك وزين له قتل أبيه لرق عرشه فاستجاب لإبليس وقتل أبيه . وكان يحب الأكل فتزينا إبليس في زى طباخ وأخذ بيئ له خير أنواع الطعام ، وكانت الأطعمة المعروضة قليلة عندهم ، فأثر ذلك في نفس الصحاك وقرب الطباخ منه حتى صار أقرب الناس إليه . ذات يوم قال الصحاك للطباخ : اقترح حاجة أقضها إليك . فقال الطباخ دعني أقبلك بين كتفيك ، فأذن له ، ثم اختفى الطباخ فلم يعد يره الملك ، وخرج من كل واحد من كتفيه حية سوداء ، وجاء الأطباء فقطعوا الحيتين فعادتا ، كفصن الشجرة ، من جديد . وتکاثر الأطباء ولم يجد طبهم في اقتلاع

رأسه . ثم سار إلى حيث سلم ، وكان قارن قد قطع عليه سبل الفرار فقتله أيضاً .

ويعود منوجهر متتصراً إلى جده الأكبر أفریدون الذي يقر به عيناً ، فيرى الوقت قد آن لأن يبوئه عرش إيران وليجعله خليفته ، ثم إنه يعهد برعايته إلى سام ، البطل الإيراني ، ويشعر بدنو أجله ، بعد أن حكم ٥٠٠ سنة . وعمت أفریدون يبدأ عهد الأبطال في الشاهنامه ، وتطغى أخبارهم على أخبار الملوك . ولا تشير الأسطاق (الأوستا) إلى الأبطال بينما تذكر الملوك الخرافين .

وهوئاء الأبطال هم سام وابنه زال ثم رسم بن زال وأخيراً سهراپ بن رسم .

* * *

ولد سام ولد طالما انتظره ، وتطرى حين رأى شعره أبيض فأخذه إلى جبل وتركه فيه . وجاءت السيمرغ (العنقاء) فرأى الطفل فأشفقت عليه وحملته إلى عشا ونشاته مع أفرانها . وكبر الولد ورأته القوافل وهي تسير بجانب الجبل وتحدث الناس عن الإنسى الذي يعيش في شعبة الجبل بين أفراخ العنقاء . وسمع سام بقصة ابنه ورأى في منامه رسولاً يخبره بقصته ، وسار إلى الجبل بنفسه بحثاً عن ولده ورأته السيمرغ فأبلغت الولد ، وكانت تسميه داستان ، ونصحته بأن يقبل أن تحمله إلى أبيه : وزرعت ريشة من جناحها وطلبت إليه أن يحتفظ بها حتى إذا ما حزبه أمر أحرق الريشة فتحضر السيمرغ وتقضي حاجته . وعظم شأن زال وبناته منوجهر وأبلى بلاء عظيمًا في حكم الهند والستان حين ناب عن أبيه سام الذي وجهه الملك للحرب في مازندران .

وأحب زال روزبه بنت ملك كابل ، وهي من نسل الصحائك ، وتزوجها بعد مشاورات طويلة وتردد . فقد كان الملك تخشى مصاورة بيت الصحائك . ولكن زال ينبعج في إفتاءه بعد أن يجتاز امتحاناً عقده

«سلم» بلاد الروم و «ثور» الصين وببلاد الترك و «ميرج» إيران وجعله ولياً للعهد . وتسنم كل منهم عرشه . ولكن سلم وتور حقداً على أخيهما وطعنا في القسمة التي أجرأها أبوهما وقالا إنهمَا كانوا أحق بولاية العهد من ميرج . فلما علم ميرج بهذا عرض على أبيه أن يذهب مسالماً إلى أخيه وأن يعمل على إخراج ما في قلبيهما من الحقد عليه وذلك بأن يترك ملكه قسمة بينهما . وسار إلى أخيه فأحسنا استقباله ، وكان يعاملهما معاملة كلها ود وإخاء ، وكلما جرى على لسان أحدهما قول جارح قابله بالكلمة الطيبة . والبقاء حول الأخوة يشهدون عتو سلم وتور وهدوء ميرج وسلامة منطقه ورجاحة عقله وإشاره السلام وحقن الدماء ؟ فكانوا يتحدثون عنه في إكبار وإجلال ويهامسون فيما بينهم بأن رأى أفریدون هو الصواب فهذا الشاب أجمل وأخوه بولاية العهد . ويشر الأخوان بما يهams به الناس ويدركان ما كسبه ميرج من تقديرهم . فيشب تور على أخيه ويرميه بكرسي من ذهب فيتوسل إليه ميرج ألا يفلت منه الزمام وأن يبدأ حتى لا تكون فتنة بين التورانيين والإيرانيين ؛ ويقسّو قلب تور فيستل خنجره ويطعن أخاه فيقتله ويختز رأسه . ويرسل الأخوان رأس ميرج إلى أبيه .

ويحزن أفریدون حزناً شديداً ويبكيه بكاء مرآ حتى يفقد بصره ، ثم يعلم أن جارية بالقصر حامل من ولده ميرج ، وتلد الجارية بنتاً ، فلما تكبر يزوجها من ابن أخيه فتلد منه منوجهر الذي يسعد جده به ويجد فيه عوضاً عن ابنه ميرج ويرد الله إليه بصره .

ويعد منوجهر جيشاً ومعه قارن (صاحب الأسرة التي ينتمي إليها شهريار الذي قدم الفردوسي الشاهنامه إليه بعد أن يئس من محمود الغزنوي) ، وسار الجيش إلى توران فهزم جيش تور ثم انقض عليه منوجهر واحتز

عايشاً . ويرسل بشنك جنوده وعلى رأسهم ابنه أفراسياس . ويموت سام في زابلستان فيذهب أفراسياس إلى إيران متزهاً فرصة تغيب زال لحضور العزاء في أبيه . ويؤسر الملك نوذر ثم يقتل بعد أن يغلب زال جنود الترك ويقتل أعيانهم . ويلجأ أولاد نوذر إلى زال : وينصب هذا الملك زو بن طههما سب ، وهو أحد أحفاد أفريدون . ويلم القحط بالبلاد ويعجز جيشاً توران وإيران عن متابعة الحرب ويعقد الصلح بين الطرفين : وتذهب الغمة وتخضر الأرض وتكثر التغيرات ولكن زو يموت ويعود أفراسياس ليحتل إيران . ويموت الملك الجديد كرشاسب وتزحف طلاع الترك على إيران ويطلب إليهم تنصيب ملك على إيران حتى لا يبقى الملك بغير رجل من آل أفريدون . فأشار المولد بكيفياد وسار رسم ليخبره بهذا ول يكن في دولته بطل الأبطال .

الموابدة له وسؤاله عن اثنى عشرة أحجية أجاب عنها .
(أوديب له موقف مماثل) .

وحملت روزبه ، فلما جاءها المخاض تعسرت وأوشكت على الهالاك . وزال واقف ترتعد فرائصه ويسكي . وفجأة يذكر ريشة السيمرغ التي معه فيخرجها من جيبه ومحرقها ، فتحضر السيمرغ ومعها الخير والأمان ، تأمر زال بأن يأتي بمديدة حادة ويعطها إلى آس حاذق ليشق بها خاصرة روزبه ثم يستخرج الولد ؛ ثم وصفت له الدواء الذي يوضع على الجرح قبل أن تخيط . وأمرت بأن تسقى الوالدة من الشراب ما يفقدها الوعي حتى تم هذه العملية (القيصرية) . ونظرت السيمرغ في حنان إلى زال ونزعـت ريشة من جناحها تركتها له ثم حلقت . وجاء الآسى وقام بالأمر واستخرج ولدآلمير له مثيل ، جمالاً وقوة ، كأنه ابن عشر سنين . ولبثت روزبه مغشياً عليها يوماً وليلة فلما أفاقـت ورأـت ولدها بجانبـها حدقتـ فيه وحنتـ عليهـ وقالـت « برستـ » آئـي نجـوت ». فسمـى الـولد « رـسمـ » .

ويبدأ عهد الكيانين مع البطل رسم : وحول رسم روایات كثيرة . منها المخاطر التي اجتازها وهو يخلص كيكاووس من « سپید دیو » — العفريت الأبيض — وقتله ملك مازندران الذي كان يستعين بالشياطين : وتذكر القصص دور « الرخش » فرس رُسم .

ولكن القصة التي اشتهرت هي قصة صلة رسم بسيدة من توران ومولد ابنه سهراـب ثم الحرب بين الأب وابنه دون أن يعرف أحدهما الآخر . وهي القصة التي تلصـها سانت بيف Sainte-Beuve بالفرنسية كما نقلـها للإنجـليزـية مـاتـيو آرنـولد Mathew Arnold

قال الفردوسـي : خرج رـسم ذات يوم للصيد عند حـلـود تورـان ، وبعد الصـيد نـام وترـك « الرخش » يـرعـي فـجـاءـ جـمـاعـةـ منـ أـهـلـ مدـيـنـةـ سـمـنـجـانـ وـسـرـقـواـ «ـ الرـخشـ » فـسـارـ رـسمـ إـلـىـ هـذـهـ المـدـيـنـةـ وـقـابـلـ مـلـكـهـاـ وـطـلـبـ منهـ أـنـ

وجـيـ للـطـفـلـ الرـضـيعـ بـعـرـضـعـاتـ عـشـرـ ، فـلـماـ تـمـ فـطـامـهـ كـانـ يـأـكـلـ أـكـثـرـ مـنـ نـصـيبـ خـمـسـةـ رـجـالـ . وـفـيـ شـبـابـهـ الـمبـكـرـ كـانـ يـصـرـعـ الـفـيـلـ الثـائـرـ بـضـرـبةـ وـاحـدـةـ . وـأـمـتـحـنـهـ زـالـ لـبرـىـ مـدىـ دـهـائـهـ بـجـانـبـ ماـ أـوـقـىـ مـنـ قـوـةـ ، فـكـلـفـهـ بـفـتـحـ قـلـعـةـ حـصـيـنةـ ، فـتـخـفـيـ رـسـمـ وـرـجـالـهـ فـيـ زـىـ التـجـارـ وـخـبـأـ السـلاحـ فـيـ أـكـيـسـةـ الـلـمـحـ ، وـدـخـلـ القـلـعـةـ فـجـعـلـ عـالـيـهـ سـافـلـهـ . فـاطـمـانـ الـوـالـدـ إـلـىـ قـدـرـةـ وـلـدـهـ وـكـتـبـ بـذـلـكـ إـلـىـ جـدـهـ سـامـ .

ومـاتـ الـمـلـكـ مـنـوـجـهـرـ وـكـانـ قدـ أـوـصـىـ بـالـمـلـكـ لـولـدـهـ «ـ نـوـذـرـ » وـأـوـصـاهـ بـأـنـ يـتـبعـ النـبـيـ الجـدـيدـ إـذـاـ ظـهـرـ بـنـاحـيـةـ الـمـغـرـبـ ، وـحـذـرـهـ مـنـ جـنـوـدـ بـشـنـكـ مـلـكـ الـتـرـكـ وـابـنـهـ أـفـرـاسـيـاـسـ وـنـصـحـهـ بـأـنـ يـسـتـظـلـ بـحـمـاـيـةـ الـأـبـطـالـ ، سـامـ وـأـوـلـادـهـ : وـلـمـ يـكـنـ نـوـذـرـ جـدـيرـاـ بـالـمـلـكـ ، كـانـ لـاهـيـاـ

صلة الرحم ثم يتبدد هذا الأمل . وتنهى المعركة بأن يقتل رستم ولده سهرا ب ويراه وهو يختضر ويستمع إليه يقول : « إن كنت أنت رستم فإنما قتلتني وأنت أعمى القلب ، فكم تعرفت إليك وتلقيت لك فاتحرك عرقك ولا لأن قلبك . فحل الآن معاقد جوشني .. فإن أمي حين ودعني شدت على عضدي خرزة وقالت هذه من أبيك » .. فلما رأى رستم الخرزة فقد من الحزن الصواب ، فلما ثاب إلى رشهه أسرع في إرسال رسول يطلب من الملك كيكاووس دواء لإيقاف نزيف ولده . وينبئ الملك النذل أن يسعف الولد والوالد جميعاً ، غله طبعه السيء .. وعاده الرسول ليخبر رستم بمنع الملك الدواء عن ولده فيسرع بنفسه للملك وفي الطريق يلاحقه الخبر بأن سهرا ب مات ..

وقد أبدع « عزام » حين نظم ، على مثال شعر الشاهنامه ، سماع أم سهرا ب بقتله :

وأخبرت الأم أن البطل بسيف أبيه أتاه الأجل فلاحت تلاؤ أبشرارها فزقت الدرع أظفارها تئن وتجأر جهد الخزين وينتابها الغشى في كل حين تلف أصابعها بالشعر وتندى على الخد دمع الدم ومدت لها سنة في العمر وأسلمت الروح مما بها فطارت تحن لسهرا بها

* * *

وينتقل الفردوسى بعد قصة سهرا ب ورسم إلى قصة جديدة لسياويخش بن كيكاووس . تزوج كيكاووس من سودبه بنت ملك هماوران (حمير) ، كما أنجب ولداً من فتاة تركية يتصل نسبها بأفریدون وسمى الولد سياويخش ، وعهد بتربيته إلى رستم . وتنكرر القصة التي كانت بين امرأة بوتيفار وسيدنا يوسف (امرأة العزيز وسيدنا يوسف في القرآن) . فتزاوج سودبه ابن زوجها سياويخش عن نفسه فلا يجاوب وتخبر الملك

بحضر الرخش بالحسنى : وهذا الملك من روعه واستضافه في قصره . وفي الليل جاءته تهميشه ابنة الملك ، فعقد عليها برضها . فلما آذنت الشمس بالطلوع أعطاها خرزة كانت مشدودة على عضده ، وقال لها : « إن رزقت أثني فاريطها في قرونها ، وإن رزقت ابناً فشديها على عضده ». ثم إن ملك سمنجان دخل غرفته وبشره بالغثور على فرسه . فسر رستم وركب الرخش وانطلق إلى إيران . ووضعت ابنة الملك ولدأ سمعته سهرا ب ، كان يشب في يوم ما يشب غيره في سنة . فلما كبر سأله أمه عن أبيه وجده فقد وجد نفسه أطول أقرانه قدماً ، وأوسعهم صدرأ ، وأشدتهم بأساً . فقالت له أنت ابن رستم من شجرة زال بن سام بن نيرم : وما استعلاوك إلا لأن ذلك البيت أصلاث .. فقال سهرا ب : لأجمعن جيشاً عظيماً من الترك ولأنخعن كيكاووس عن عرشه وأنقل تاج إيران إلى رستم ، وأعطف إلى بلاد توران وأنتزعها من يد أفراسياپ فأكون مع أبي ملكي هذه الدنيا . وبلغ أفراسياپ أن سهرا ب جمع جيشاً حوله وأنه يتصدى لاكتساب الحمد .. وبعث أفراسياپ برجلن من ثقاته ليسيرا مع سهرا ب في مسيرته لإيران وينيلاً أقصى المكر حتى لا يعرف أباها رستم عند الملاقاة . وكان أمله أن يقتل أحدهما الآخر . وفي الطريق التقى رستم بقائد قلعة واشتبكا في المبارزة ، وكتب رجل فيها إلى الملك كيكاووس ينبئه بهذا الفارس التركى الذى لم ير مثله والذى يشبه سام بن نريمان في عراكه ونبه الكاتب ملك إيران إلى ضرورة الاستعداد لمقابلة جيش هذا الفارس . فلما بلغ الكتاب الملك تشاور مع رجاله واتفقوا على استئناس رستم في زابلستان ليحضر بنفسه ويدفع شر هذا التركى الشجاع .

واستخدم الشاعر وسائل الإثارة في نفسيتها رستم وسهرا ب ، وكثيراً من الظروف التي كانت تحول دون معرفة أحدهما الآخر ، واللقاء بين البطلين تم على مراحل ويقترب أمل القارئ من أن البطلين سيعرفان ما بينهما من

عاقبة ذلك ، ويأتي أن يسلم الرهائن إلى أبيه . وكان على سياوخش أن يختار أحلى أمرين كلامها من . فهو لا يريد أن يذهب إلى إيران حيث أبوه الملك التزق الشهير الضعيف الذي وقع في هو امرأة لعوب وهو مجرم على أن يختار اللجوء إلى أفراسياس ، فيتخد من العدو صديقه . ويشعر رجال أفراسياس بوجوب استقبال سياوخش على الرحب والسعـة ، ويقبل ملك الترك هذا الرأي بعد تردد شديد فقد كان المتجمدون يخسرون هنا اللقاء الوديع ، والناصحون يرون أن ملك إيران صائر إلى سياوخش والخير أن يكرمه الترك وهو في محنته . ويلقى سياوخش الود الحالص من أفراسياس الذي يزوجه ابنته فرنكيس ، ويهب له ولاية في دولته . هناك يعيش سياوخش ويحكم ويشيد مدينة كنكدر تكون كالجنة في الأرض . وكان نجم سياوخش إلى النحس أميل ، فإنه يثير حقد كراسيوس أخي الملك فيوقع هذا بينه وبين أخيه وينجح مسعى السوء بين الصديقين « إنه قد تغير مما كان عليه ، وقد تكررت الرسل إليه من أبيه كيكاووس في السر ، وكذلك تأثره الرسائل من أطراف الروم والصين ، وهو لا يشرب الآن إلا على اسم كيكاووس » ، ويقرر أفراسياس إنه سلم لمن سالمه وحرب لمن حاربه . ويقتل سياوخش . أما فرنكيس فتحزن لقتل زوجها ويحاول أبوها إسقاط الجنين الذي في بطئها ولكن أميراً تركياً ينقذها وهو عميلاً كراسيوس من العالمين ، ويسمى المولود كيخسرو كما أراد أبوه .

أما كيكاووس فيدرك أنه تسبب في قتل ولده فيجلس للعزاء ويحيي رسم كالأسد الغاضب فيشبع الملك تعنيفاً ولوماً ويسرع إلى بلاطه فيدخل إلى حيث تقيم زوجه سودبه فيجلنها من شعرها وينحرجها ويقادها بسيفه نصفين . ثم يأخذ جيشه ويسير إلى بلاد الترك . ويختل رسم توران ويأسر ابن أفراسياس . أما هذا في Herb إلى الصين ويصبح معه كيخسرو بن

كيكاووس بخيانة ولده له فيأمر الملك بأن يجري الابتهاج على ولده ، ويأمر بإشعال النار ويمرك سياوخش بفرسه هذه النار فتكون بردًا وسلاماً عليه وينخرج منها سالماً . ويأمر الملك بقتل سودبه ولكن سياوخش ، مقدراً حب أبيه لها وما سيكون من نقمته عليه بعد قتلها ، ينشد أباه أن يغفو عنها ، فيغفو .

ويعود أفراسياس فيحشد الجيوش لغزو إيران ويتقدم ، وينهزم سياوخش الفرصة لينجو بنفسه من حبائل كيد سودبه فيعرض على أبيه أن يخرج للدفاع العدو مع رسم . وينخرج البطلان ويضطر أفراسياس ويرسل رجالاً من قبله يطلب الصلح . ويتناول بطلان إيران ويقرر ان القبول . لقد بعث إليهما أفراسياس نفسه من الأمراء الكبار تأكيداً لصدق ميله وإثناره بالسلم . وبعد التشاور أوافق سياوخش رسم ليشرح الأمر لكيكاوس . ويغضب هذا ويهين رسم : « أحسب أن سياوخش شاب غر لم تصبه المكاره ولم تعصه النواب ، ألسنت الجذيل الحنك والعذيق المرجب ومن يتعلم منه الملوك ؟ سامره أن يهجم غير متثبت على أفراسياس في خيمه ويضع فهم السيف ويوسعهم القتل والأسر . أما الأمراء الذين أوفر لهم أفراسياس فيحضرون عندي لأسبقهم كأس المنون » .

وتمسك رسم بأهداب السلم وأداب الحرب وقال لكيكاوس : « ليس يحسن في الأحداث أن ينتشر عن سياوخش أنه أخفر اللذمة وغدر بالرهائن » . ويتم الملك رسم بأنه يشير بهذا لإشاراً لللذعة ، وركوناً للرفاهية ويختل رسم وينخرج غاضباً وينذهب إلى زابلستان .

أما سياوخش فيلقى رسول أبيه الذي يقص عليه ما جرى مع رسم ويحمل إليه أمر الملك بأن يحل « طوس » محل رسم ، ثم يبين له الرسول مدى حقد أبيه عليه والمصير الذي ينتظره إذا هو عاد دون قتال أفراسياس . فوجم سياوخش لما حزنه من تنكر أبيه عليه وما يخشى من

له الثأر لأبيه وبلغه ملك المشرق والمغرب ، يخشى أن يملك العجب مقاده فيصير مثل الصحاك وجمشيد وأفراسياپ وهراسب الذين كفروا بالله وجعلوا أنفسهم آلة من دونه . ويجتمع عظماء إيران الذين هالم تصوف الملك وعزلته وانصرافه عن الملك بعد أن استقر له الأمر وهدأت الفتن ، وكما كانوا يلتجأون إلى زال ورسم في الحروب والمعارك استعنوا بهما لإقناع الملك بأن يعود إلى الحكم ويترك مناجاة ربه . ويشتد زال في حديثه مع كيختسرو ويصبر هذا ولا تخشن زال في الجواب فليس هذا حسناً عند الله وهو لا يأمن موجدة رسم إن هو تطاول على أبيه الشيخ المهيوب ، يقول له : «إنى سئمت التاج والتخت والأمر والنهى ووقفت بين يدي ربى في هذه الأسابيع الخمسة أتضرع إليه وأسأله أن يخلص روحي من هذه الأرض المكدرة حتى استجاب دعوى وحقق أمنى . ولقد رأيت في المنام كان ملكاً نزل على وهمس في أذني : «إنك قد أعطيت ما سألت فتجهز إلى جوار الله الكريم ، ولا تقم في هذه الدنيا الكدرة ، وفرق الأموال على المحتاجين والفقراء والمساكين . . .» فاعتذر زال عما بدر منه ، وأدرك الحاضرون أن كيختسرو ليس بمجنون إنما هو من الوابلين :

وكمما انتهت حياة «يدهشترا» وأخوته والذين كانوا في وداعهم تنتهي حياة كيختسرو ومرافقيه : تقول «المهابهارتة» إن يدهشترا وإخوته يسرoron بعد أن اعتزل الملك ويودعهم الرجال والنساء ثم يرجع المودعون ، ويستمر السائعون في رحلتهم حتى يبلغوا متاهة هملكون في رمأها ما عدا يدهشترا الذي يسر قدمآ لا يعبأ بشيء ومن ورائه كلبه حتى يدخل الساعيـا (ورنر) ؛ وتقول «الشاهنامه» إن كيختسرو صعد إلى جبل وفي أثره العظام النساء والرجال زهاء مائة ألف نفس ي يكون ويضجون حتى طن بصياغهم السهل

سياوخش : وينجح جيو ابن أخي رسم في اختطاف كيختسرو . وكان كيختسرو ينتظر هذا الخلاص الذى حدثته أمه به وكان نبوءة لأبيه قبل مقتله .

ويحضر كيختسرو إلى إيران ويلاقى جده كيكاؤس الذى قام ونزل له عن تخته واعتنقه وقبل وجهه ، وحضر جميع الأصبغنية والأمراء وسلموا عليه بالسلطنة عدا «طوس» ، «صاحب الكوس والمدارس الذهبي وحافظ الدرفشن الجاوياني» فكان يتعصب لعم كيختسرو «فرى بربز» ويقول «كيف يجوز أن يكون الحافظ وارث التاج والتخت مع وجود الآرين . ونحن لا نرضى ملكاً من نسل أفراسياپ» . وينتظر الأمراء ويلجأون إلى كيكاؤس ليقضى برأيه فيشير بأن من يفتح منها قلعة بهمن يكون صاحب الحق في التاج ؛ وينجح كيختسرو في فتح قلعة الشياطين ويعود إلى إيران فيباغعه الأمراء جميعاً ملكاً عليهم .

وكيختسرو هو كوروش في (الآثار الباقيـة) ، للبرونـي ، وهو ثالث الكـيانـين والثالث عشر من ملوك الشاهـنـامـه . وهو بقـيةـ من المـقـدـسـينـ في الدين الـآـرـىـ القـدـيمـ . وهو آخر الملـوكـ الذين تـشـرـكـ فـيـهـمـ أـسـاطـيرـ الأـبـسـاتـاقـ والـفـيـداـ . وـقـصـةـ وـلـادـةـ كـيـختـسـروـ فيـ تـورـانـ وـتـرـيـبـتهـ بـينـ الرـعـاـةـ وـمـاـ كـانـ مـنـ إـشـفـاقـ جـدـهـ أـفـرـاسـياـبـ منـ زـوـالـ مـلـكـهـ عـلـىـ يـدـهـ ، وـقـتـلـ الجـدـ بـيـدـ حـافـدـهـ فـيـ النـهاـيـةـ تـشـبـهـ كـلـ الشـبـهـ مـاـ يـرـوـيـهـ هـرـدـوـتـ عـنـ وـلـادـةـ كـوـرـشـ وـمـاـ كـانـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ جـدـهـ لـأـمـهـ استـيـاجـسـ مـلـكـ مـيـدـيـاـ . (پـيـرـنـيـاـ وـعـزـامـ) . وـتـدـورـ الـحـرـبـ سـجـالـاـ مـعـ التـورـانـيـنـ أـيـامـ كـيـختـسـروـ وـيـلـعـبـ رـسـمـ دـورـ الـبـطـلـ الـأـعـظـمـ فـيـهـ . وـتـجـرـىـ وـقـائـعـ : كـامـوسـ الـكـشـافـ ، وـرـسـمـ مـعـ أـكـوـانـ الـجـنـىـ ، وـحـرـبـ الـإـنـيـ عـشـرـ رـخـاـ وـغـيـرـهـ .

وتنتهي حياة كيختسرو في غموض . فهو يعتزل في آخر أيامه وخلو إلى ربه ويطلب إليه أن يأخذنه إلى جواره . كان وقد نصره الله ومكته من أعدائه وأثاره

وصمم كشتاسب وأمره مطاع وعصيائه حرام في دين زرداشت .

ويبدل رسم الكثير من الود نحو الشاب البطل ويقبل أن يصبحه إلى كشتاسب ولكن دون قيد ، وتلعب الأقدار دورها ويحسب اسفنديار أن رسم يخدعه . وينشب القتال بين البطلين ، ومن حولهما رجالها ، ودون إذن بقتال يشنثك الرجال ويقتل ولدان من أبناء اسفنديار ، فيفقد هذا صوابه ويمطر رسم وأبلا من سهام تصيبه وتضطره إلى أن يعتصم بجبل ويطلب استئناف القتال في الصباح . ويجد أفراسياس أن الليل أقبل بظلامه فلا يلاحق خصمه . ويأخذ زال ، الشيخ الكبير الذي لم يفلح مساعاه للسلام ، إلى العنقاء فيحرق جزءاً من ريشتها التي سلمتها له عند مولد رسم ، فتحضر العنقاء وترفرف على رسم وتغمره محناها ثم تدخل منقارها في جراحاته وتخرج منها نصالاً أربعة ثم تمسحها بمحناها فتلطم . وصنعت مثل ذلك بالرخش واستخرجت منه ستة نصال . ثم قالت لرسم «لأى معنى تعرضت لقتال اسفنديار .. وقاتله لا يرى الخير بعده .. وتقصر مدته ويلقى العناء بقية عمره ، ويذوق العذاب بعد موته ؟ فإن رضيت بهذه الحالة فاركب وأبصر العجب ». فركب رسم وسار إلى ساحل البحر ، فأفسفت العنقاء على شجرة من الطرفاء فقالت له : «اقطع من هذه الشجرة قضيباً مستقيماً .. وركب عليه نصالاً عتيقاً ، واجعل له قذذا . ثم إذا جاء اسفنديار يطلب قتالك فتضعر إليه وابك بين يديه فلعلك تصرفه عن قتالك بخلو لسانك . فإذا لم يفعل فوتر قوسك وسدد نحو عينه هذا السهم .. فإنه يصيب عينه ، ويكون في ذلك حينه ». وأرشدته إلى الطريق ، ثم ودعت «زال» وطارت .

ونزل البطلان إلى الميدان فلما تقاربَا قال اسفنديار : «أيها السجزى ! كأنك قد نسيت صنيعي بك بالأمس ، وكان ظنِّي أنك تكون اليوم محمولاً إلى الرمس . إنك لم

والجبل . ثم إن الملك التفت إليهم ونبههم إلى أنه يجتاز طريقاً صعباً لا ماء فيه ولا عشب ، فانصرف عنه زال ورسم وجوزر ، وتبعه الباقيون .. ولما طلعت الشمس ركب الملك وجواب عن أعينهم فهموا على وجوههم يطلبونه ويبيكون .. ثم تغيمت السماء واشتد الهواء ومطردوا ثلجاً هلكوا تحته أجمعين .

وكان كييخسو قد بايع هراسب ليخلفه ، ولم يكن زال ورسم عن هذا الاختيار راضين . ويأتي بعد هراسب كشتاسب . وفي عهده ظهر زرداشت فاعتقل ديانته . واشتهر ابنه اسفنديار (أمه كتايون بنت ملك الروم) بالبطولة .

واسم اسفنديار هو بطل قصة المنازل السبعة (هفتخوان اسفنديار) وقد وضعت هذه القصة حاكاماً لقصة رسم المعروفة بهذا الاسم . فكما اجتاز رسم ، في مازندران ، سبع عقبات : رخش رسم والأسد ، العطش يضعف رسم ، رسم يقتل التنين ، قتل رسم امرأة ساحرة ، رسم يأسر أولاد ، حرب رسم أوزنك الجنى ، قتل رسم الجنى الأبيض ؛ يجتاز أفراسياس سبعة خطوب . واسم اسفنديار هو بطل دين زرداشت أيضاً ،تعاون في نشره بالسيف وعاون الوزير جاماسب في إحياءه . واسم اسفنديار هو الذي خلص والده كشتاسب أكثر من مرة وهو الذي قتل ملك الترك ارجاسب .

ويلقى اسفنديار من أبيه مثل ما لقى سياوخش : فإن كشتاسب حريص على الملك حرضاً أنساه الشفقة على ولده البطل ، فهو يستمع إلى كرم الذي سعى إليه بالحقيقة وصور له أن ابنه يتآمر عليه ، وقر في نفس كشتاسب أن يتخلص من اسفنديار .

وكان رسم في زابلستان ملكاً لم يبايع ملك الملوك ، فأمر هذا ابنه اسفنديار أن يذهب إلى زابلستان ويأتي برسم أسيراً في القيد . وعبداً يحاول الابن أن يثنى أباًه عن طلبه ، ذاكراً رسم وحرuboه وإنقاذه لإيران :

لا بد من الانتقال الآن إلى فن الفردوسى في الشاهنامه فالحديث يطول لو تحدثنا عن العهد الساسانى كما تصفه الشاهنامه ، إنما يكون هذا موضوع مقال على حدة .

والشاهنامه وهى تقىص وقائع البطولة والانتصارات الكثيرة والمزايا القليلة لا تكفى بالحرب وحدها ، إنما هي تتحدث عن الحرب والمالدب - رزم وبزم - وتحدث عن الحب حديثاً عذباً كالذى ذكرنا بين زال وروذبه وكالذى كان فى العهد الساسانى بين خسرو وشيرين . وعندت الشاهنامه بالحديث عن الخيل فرخش رسم وبهزاد سياوخش لها نصيب مرموق فى الكتاب . وتحدث الشاهنامه أيضاً عن الصيد ، وكان رياضة الفرس المفضلة ، ولعب الكرة والصوجان والأدب وتندوق الموسيقى .

والملاحظ فى الشاهنامه أن الكلمات العربية قليلة فيها ، لا تتجاوز ٤٣٠ كلمة . وربما عمد بعض النساخ إلى وضع هذه الكلمات . والفردوسى عمد إلى أن يجعل الشاهنامه إيرانية خالصة فهى تروى تراث أمة وعلى الشاعر الفنان أن ينظم هذا التراث بلغة هذه الأمة ما استطاع . فلماis عن تعصب أن يعتمد الشاعر إلى إحياء لغة الإيرانيين . وإذا نحن رجعنا إلى الترجمة العربية لبعض أجزاء الخدای نامه أو لكتاب تنسن فإنا نجد في هذه الترجمة آيات من القرآن والحكم والأمثال العربية ، لأن المترجم إلى العربية يكتب إلى العرب ويحاول التقارب بين العرب والفرس . أما الفردوسى فينظم الشاهنامه بالفارسية للفرس فلم يكن عليه أن يذكر من الألفاظ العربية . وروعه الشاهنامه فى أسلوبها هذا ، وهى بهذا الأسلوب ، الذى يعد أوج الشعر الفارسى الذى يتحدث عن التراث ، من أيسر النصوص فهما لطلاب الثقافة الفارسية . فهو السهل الممتنع كما يقولون .

تبأ إلا برقية أبيك وسحره . وسأسد عليك اليوم سبيل حيلته ومكره ، فأجعل بدنك كالغربال بتصادرات النبال فقال رستم : « إنما جئت اليوم للقتال ، وإنما جئت لأنصر إليك عساك تخنج إلى السلم وتطئنى من قلبك نار الحقد » . ولكن القدر يدفع أفراسىاب إلى الشر ويصرب رسم عليه السهم فيصيب عينه فينقلب عن ظهر فرسه ثم يبasaki ويشرع السهم ويجرى إليه ولده بهمن . ويخضر اسفنديار ورسم قائم في مكانه ويلتفت إليه البطل وهو في نزعه الأخير ويقول له : « لم يقتلني غير أى كشتاسب حيث أكرهنى على قتالك والآن فهذا ولدى بهمن تسلمه مني وأحمله معك إلى زابلستان وربه تربية الوالد لولده » . ويضع رسم يده في يد اسفنديار ويعاهده على أن يربى ولده ويسعى له حتى يكون ملكاً . ويموت اسفنديار .

أما رسم فيقتله أخي له من أبيه اسمه شغاذ . هيا له حفرة غرز في قاعها نصولاً محددة ثم غطاها . ودعا رسم إلى الصيد فوق برخشه في الحفرة فرققه الحراب ولكنها تخرج مثخناً بالجراح القاضية من الحفرة ويطلب إلى أخيه أن يعطيه قوسه ونشابتين ليقود بها السباع عن نفسه حتى يموت . وقدم شغاذ لأنخيه قوسه ووترها فتناولها رسم وخاف شغاذ فتترس بشجرة دلب كانت هناك مجوفة قد أتت عليها السنون ، فرمى رسم الشجرة بنشابته فنفذت فيها وخلصت إلى شغاذ فخاطته مع الشجرة وأصمته . ويموت رسم وتنتهي حياة أعظم أبطال الشاهنامه .

* * *

وتمضى الشاهنامه بعد ذلك ، فتتم تاريخ الأكمينيين وتجعل الغزو الإغريقى إيرانياً صرفاً فالإسكندر منهم وليس أجنبياً ثم تتحدث عن الأشكانيين ثم الساسانيين فقصور عصورهم الزاهية ثم عصر التحلل الذى جعلهم فريسة سهلة المثال للفتح العربى .

* * *

حبيب ، وأترج كأنه يفوح عن مسك سحيق وغير
فتيق . فقعد بين يدي ينقر الجنك ويرنم ، ويستقيني
المدام ويزمزم ثم قال : إن كنت لا تنام فاصفح إلى حتى
أقرأ عليك من الكتاب الفهلوى قصة لتنظيمها » .

* * *

منوجهر مختبر ذکاء زال :

فأحضر منوجهر موابذته وعقد مجلساً عظيماً ،
وجاءوا بزال فأمرهم أن يباخثوه ويسألوه : فتصدى
موبد وسأله عن اثنى عشرة شجرة جذب بأضباعها
السموّق ، ومد من أعضادها البسوق ، قد تشعب من
كل واحدة ثلاثون غصناً لا يرى الناس فيها زيادة
ولا نقصاً .

وسائله آخر عن فرسين أحدهما كبح من القار
والآخر كالبلور النصار ، لا يزالان يتراكمان ،
يتعاقبان ولا يتسبقان .

وسائله آخر عن ثلاثة فارسياً يعرضون على السلطان ، فإذا عبروا نقص منهم واحد ، وإذا رجعوا فلا ناقص ولا زائد .

وأسأله آخر عن روضة معشبة يرف نباتها في رونق
الغضارة ، وتروق العيون بالبهجة والتضارة ، ثم ينحي
عليها ذو منجل ينزل بساحتها مكروه الخطب ، ويجمع
في حصدتها بين اليابس والرطب .

وسأله آخر فقال : شجرتان من بواسق الأشجار ،
نابتان في البحر الزخار ، على كل واحدة منها وكر
لطائر يصبح على أحدهما ويمسي على الأخرى ، إذا
طار من هذه تساقطت أوراقها ، وإذا وقع على الأخرى
راق العيون لإبراقها ، فتكون أبداً أحدهما ناضرة
والآخر ذابلة .

وسأنه آخر عن بلدة طيبة حصينة في ذروة جبل ،
تركها الناس وعمدوا إلى أرض تنبت القناد فالرسوا بها
الأوتاد ، وبنوا بها الدور وشيدوا فيها القصور وتناسو

كان للفردوسي مقلدون كثيرون من الفرس ، على مدى التاريخ ، ولكن أحداً لم يبلغ بنظمه روعة شعر الفردوسى ، فشتان بين رجلين أحدهما يتخذ من عمله رسالة يكرس لها حياته والثانى يقلد مجرد تقليد . وقد ذكر الكتاب أسماء هؤلاء المقلدين (عزم وندا) وأما الأدب الأولي فقد تأثر بترجمة مول للشاهنامه ، فقد تلتها ترجمات كثيرة بلغات مختلفة . واتخذ بعض الكتاب قصة من قصص الشاهنامه وأقام عليها قصة جديدة وقد ذكرنا بعض هذا في ثانياً البحث .

والشاهدانه بأسلوبها هذا السهل الممتنع ، وبروعة ما فيها من قصص حافر للهمم ، مهذب لللغومن ، شاهد بالقيم الإنسانية العالية ، لا تزال جديرة بالقراءة العميقه التي قد تلهم بأدب ينفع الناس . وقد تابه المصريون لهذا الأثر العظيم فنقله البندارى لغة العربية في القرن السابع المجرى ، وكان عزما في القرن العشرين أول من نهانا إلى الشاهنامه حين نشر ترجمة البندارى .

— ४ —

قال قبل أن يكتب قصة بيزن ومينزه :
« اللَّهُ لِيَلَةٌ سِوَادُهُ ذَاتٌ جَنَاحٌ أَحْمَمْ كَأَنَّهُ طَلَى بِالْمَدَادِ
أَوْ لَبِسَ ثُوبَ الْحَدَادِ . لَا يَرَى فِيهِ بَهْرَامٌ وَلَا كَيْوَانٌ
وَلَا عَطَارَدٌ ، وَكَأَنَّ النَّجُومَ فِيهَا مِثْلُ الْعَيْوَنِ رَوَاقِدٌ .
قَدْ تَوَارَى قَمَرُهَا بِالْخَاقَ ، وَقَطَعَتْ ظَلَمَتْهَا أَشْوَاطُ
الْأَحْدَاقِ . وَقَدْ أَلْقَتْ عَلَى الْأَرْضِ بَالْجَرَانِ ، وَوَقَفَ
الْفَلَكُ فِيهَا عَنِ الدُّورَانِ . لَا حَسْ فِيهَا وَلَا هَمْسُ ، كَأَنَّ
الْأَحْيَاءَ فِيهَا حَالَفُوا الْمَوْتَ . فَاسْتَوَى عَلَى السَّهَادِ ، وَنَبَأَ
فِي الْوَسَادِ . فَصَحَّتْ بِالْغَلَامِ وَقَلَتْ : قَدْ طَالَ الظَّلَامُ ،
وَشَرَدَ عَنِ عَيْنِي الْمَنَامُ . فَقَمْ وَأَشْعَلَ الشَّمْعَةَ وَهِيَ الْمُلِسْ
وَأَحْضَرَ الشَّرَابَ وَاسْتَطَقَ الْجَنَكَ وَالرَّبَابَ ، فَقَامَ
وَالنَّعَاصِ يَرْنَقُ فِي عَيْنِيهِ ، وَالْتَّرْفُ يَمْبَلُ بِعَطْفِيَهِ . وَجَاءَ
بِشَمْعَةٍ كَالْذَّهَبِ عَلَى رَأْسِهَا تَاجٌ مِنَ الْلَّهَبِ : ثُمَّ جَاءَ
بِرْحِيقٍ ، وَرَمَانٍ كَصَرْرَ عَقْبِيَقَ ، وَسَفَرْ جَلَ كَأَنَّهُ سَرَرٌ

ومن قصبة مزدك :

واتصل بقباد رجل فصيح اللسان ، غزير العلم ذو رأى وعقل ، اسمه مزدك . وأقبل عليه قباد واتخذه دستوراً (وزيراً) وخازناً . فاتفق أن أصحاب الناس في ذلك العهد لزبة شديدة احتبس فيها القطر وهلك الزرع فاجتمع أكابر ليران على باب قباد ، وضجوا مما هم فيه من الضيق والشدة وعدم الأقوات . فقال لهم مزدك : إن الملك سيزيل ظلامتكم ويتحقق طلبتكم . ودخل على الملك وقال : ماذا تقول في رجل معه جملة من الترائق الحرب ، وعنده رجل قد لدغته الحياة وهو على شرف الموت وصاحب الترائق يمنعه عنه ويحسن به عليه ويدعه حتى يموت ؟ قال الملك إن صاحب الترائق مأخوذ بدم هذا اللديغ ويجب أن يقتل به . فقام مزدك وخرج وقال للمتعلمين : إني فاوضت الملك في أمركم فانصرفوا الآن وعودوا إلى الدركانه غداً . قال فانصرفوا وعادوا بكرة ، كما سبق الوعد . فدخل مزدك على الملك ودعاه له وأنهى عليه ثم قال : قد أجبتني أمس عن مسألتي ، وأريد اليوم أن أجيبني عن مسألة أخرى أسألك عنها . فقال : سل . فقال مزدك : ماذا تقول فيمن حبس رجلاً وقيده ومنعه الطعام والشراب حتى مات ؟ فقال : هذا المسكون متقلد دم لم يسفكه . فخرج مزدك عند ذلك وقال لن حضر من المتعلمين : إن الملك قد أباحكم ما في الأهراء من الغلات فابسطوا أيديكم وأيما وجدتم منها شيئاً فاستبيحوه . ففعلوا ذلك وطنطت المدينة وماجت العامة الذين أخرجتهم المخاعة واتهبت غلات السلطان وغيره : فأنهى إلى الملك ذلك وأخبر بأن مزدك هو الذي رخص لهم في ذلك : فاستحضره وسأله عن السبب الذي حمله على ما كان : فقال : إن الجائع هو اللديغ والطعام هو الترائق ، وقد أباح الملك دم صاحب الترائق إذا لم يتدارك حشاشة اللديغ المشرف على الموت وقد رأيت الناس يموتون جوعاً ولا خبر عند أرباب

تلك البلدة الطيبة ، فيينا هم كذلك إذ خسفت بهم أرضهم ، وقامت عليهم القيامة ، وحالفهم الحسراة والندامة .

قالوا لزال : إن أوضحت هذه الرموز كنت العالم الخبر ، فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وأعاد تلك المسائل ، ثم قال :

أما الشجرات الائنتا عشرة فهي عدة الشهور مع الأيام ، على تعاقب الأزمنة والأعوام .

وأما الفرسان فهما اللوان يتعاقبان ولا يتسبقان .

وأما أعداد الفرسان وما يظهر فيها من التقصان فذاك إلى نقصان الشهر وأنه تارة يكون تسعة وعشرين وتارة ثلاثين .

وأما الشجرتان اللتان عليهما معشاش الطائر فإن العالم من وقت حلول الشمس في برج الحمل إلى أن تبلغ إلى الميزان يتبرج كالخريدة المعطار ، في حل الرياحين والأزهار ، ومن حين حلولها العقرب إلى أن تخل الحوت يقع بين أبعاد الحداد وأمطار السواد . فالشجرتان كنابياتان عن عضدي الفلك الدوار والطائر عبارة عن الشمس الباهرة الأنوار .

وأما البلدة الطيبة فهي دار القرار ومنزل الأبرار ، والأرض التي آثرواها عليها فهي الدنيا قرارة الأكدار وموطن الأخطار . . بينما أنت إلى نعيمها راكن ، وفي ظلامها وادع ساكن ، إذ تزللت من تحتك ، وأمطرت مكارها من فوقك . . إن هذا الإنسان ، وإن طاول الكيوان ، فليس يصحبه منها غير ستة تحت حفرة ، فإن اكتسب فيها الذكر الجميل ، أحرز هنالك الأجر الجليل ، وإن زرع العدل والإحسان ، حصد الروح والريحان . ثم إن صاحب المنجل كنابية عن الأجل يحصدنا كحصد النبات . . .

* * *

والثالث ألا يعرف قدر نفسه فيكفر نعمة ربه . والرابع
ألا يكتم سره ويفشيه . والخامس أن يتكلم بما لا يعنيه
فيقعد ملوماً مهوماً . والسادس أن يأمن غير ثقة
ويصاحب غير ذي مقة . والسابع أن يكذب ويصر على
الكذب . (البنداري) .

ومن وصف الفردوسى للطقس حين تكثر الثلوج ،
رحلة لكيكاوس :

« كان ذلك في أحد أيام الربيع التي تبجح القلب
وتتنفس الأرض . وفي تلك اللحظة هبت ريح عاصف من
الجبال هرع من هولها قلب كيكاكوس . أظلمت الدنيا
كأنها جناح الغراب . وتعدرت معرفة السهل في الأودية
واحتجبت قمم الجبال تحت الثلوج التي كست الأرض
بردائها الأبيض الكثيف . وأخذت الرياح العنيفة تهب
بقوة وتصب جام غضبها على هذا المكان ثلاثة أيام
بلياليها . وتركز البلل على الخيام وما فيها ، وسرى البرد
القارس في الوجود كله فلم يعد لأحد قدرة على شيء »

الغلات المدخرة من ذلك ، فأتحتم إياها على مقتضى
حكم الملك قوله : فسكت قباد . واستعمل أمر مزدك
وطالت باعه وكثرت أشياعه وأتباعه ، وخالف الأنبياء في
في مللهم وبابن العلماء في طرقهم . وكان يقول : ينبغي
أن تكون أمور العالم على السواء ، ولا يقع تفاوت في
نعم الله بين الأغنياء والفقراء ، ويكون الغنى كالسدى
والفقير كاللحمة .. (البنداري) .

* * *

ومن حكم بزر جمهر التي يذكرها الفردوسى :
أخلاق العاقل المنجية له خمسة ، وأخلاق الجاهل
المردية سبعة . أما الخمسة المنجية فهي ألا يجزع على
ما فات ولا يفرح بما هو آت ، ولا يرجو ما لا يكون ،
ويحذر من عواقب الأمور ، وإذا حزبه حازب كافحه
من غير جن ولا خور . وأما السبعة المهدلة فأحددها
أن يغضب من غير موجب للغضب ، والثانى أن يعطي
من لا يستحق فيكون غير مأجور ولا مشكور .

